ماكس فريش

مونتاوك

قصة

ترجمة: سمير جريس

منشورات الجمل

ولد **ماكس فريش** عام ١٩١١ في مدينة زيوريخ بسويسرا. بدأ دراسة اللغة والأدب الألماني في زيورخ، إلا أنه لم يكمل دراسته وعمل صحافيا. وفي عام ١٩٣٦ التحق بمعهد لدراسة الهندسة المعمارية وحاز على درجة دبلوم. افتتح أثناء الحرب مكتباً للهندسة المعمارية في زيورخ، ثم تفرّغ عام ١٩٥٤ للكتابة. كتب المسرح والرواية واليوميات وحققت أعماله نجاحاً كبيراً، منها: **ها هم يعاودون الغناء** (١٩٤٥)؛ **سور الصين** (١٩٤٧)؛ **شتيلر** (١٩٥٤)؛ **هومو فابر** (١٩٥٧)؛ **بيدرمان ومشعلو الحرائق** (١٩٥٨)؛ **واسمي غانتنباين** (١٩٦٤). صدرت قصته **مونتاوك** عام ١٩٧٥. حصل فريش على عدد كبير من الجوائز الأدبية المهمة في سويسرا وألمانيا. توفي في زيورخ عام ١٩٩١.

ولد **سمير جريس** عام ١٩٦٢ في القاهر/ مصر. درس الألمانية في جامعات عين شمس، القاهرة وجامعة يوهانس غوتنبرغ بمدينة ماينتس بألمانيا. يقيم ويعمل في مدينة كولونيا / ألمانيا. انجز العديد من الترجمات الأدبية عن الألمانية، منها: **فولفغانغ بورشرت: شدو البلابل**، قصص؛ **إريش كستنر: مدرسة المستبدين**، مسرحية.

ماكس فريش: **مونتاوك، قصة**، ترجمة: سمير جريس
كافة حقوق النشر والترجمة والاقتباس محفوظة لمنشورات الجمل
الطبعة الأولى، كولونيا – المانيا ٢٠٠١

رسمة الغلاف: ألكسي يافلنسكي

ترجم هذا الكتاب حسب اتفاق خاص مع الناشر الألماني

Max Frisch: Montauk. *Eine Erzählung*
© 1975 Suhrkamp Verlag, Frankfurt am Main
© *Al-Kamel Verlag 2001*
Postfach 210149 . 50527 Köln Germany
Tel: 0221 736982 . Fax: 0221 7326763
E-Mail: KAlmaaly@aol.com

«هذا كتاب صادق، أيها القارئ، فلتحذر قبل أن تدخل فيه، إذ إنني لم أخطط له سوى نهاية حميمية خاصة . . . هذا الكتاب أُهديه لأصدقائي وأقاربي، لاستخدامهم الشخصي، حتى يجدوا فيه - عندما يفقدونني - بعضا من ملامح حالتي النفسية وطريقتي في الحياة . . . فأنا الكاتب والمكتوب. أخطائي سوف تقرؤها هنا كما هي، كما ستجدني على سجيتي - على قدر ما يسمح به الذوق العام . . . أنا إذن بشخصي، أيها القارئ، هو المضمون الأوحد للكتاب؛ ليس ابتذالا لوقت فراغك أن تقضيه مع شيء مختال وتافه كهذا. - / مع الرب إذن، إلى مونتين، في أول مارس1580.»[1]

---

(1) هذه المقدمة اقتباس من كتاب «مقالات» *Essais* للكاتب والفيلسوف الفرنسي مونتين Montaigne (1533 - 1592)، الذي كان قدوة لدعاة التنوير في فرنسا، كما كان له تأثير كبير على عدد من الكتاب المحدثين، مثل نيتشه وأندريه جيد ومارسيل بروست. بهذا الكتاب وضع مونتين حجر الأساس في فن المقالة الأدبية. لم يقتصر مونتين في مقالاته على موضوع واحد، بل تنقل بأفكاره مستطردا ومتأملا في فروع الأدب والفلسفة والأخلاق وتربية الأطفال. الاقتباس يشير إلى رغبة فريش في السير على نهج مونتين.

لافتة تعد بإطلالة على الجزيرة: OVERLOOK. التوقف هنا كان اقتراحه هو. موقف السيارات يسع على الأقل مائة سيارة، الآن خال؛ سيارتها وحيدة فوق الخطوط المرسومة على الأسفلت. الوقت ضحى والشمس مشرقة. الشجيرات الكثيفة تحيط بالموقف الخالي؛ لا منظر إذن، ولكن هناك مدقا يخترق أدغال الشجيرات. لم يتشاورا طويلا: سيقودهما المدق إلى مكان يطلان منه على المنظر الرائع. ثم عادت ثانية إلى السيارة. أخذ ينتظرها، لديهما وقت، عطلة نهاية الأسبوع بأكملها. يقف ولا يعلم ما الذي يشغل تفكيره في هذه اللحظة ... في برلين الساعة الآن الثالثة ظهرا ... هو في العادة يضيق بالانتظار. جاءتها فكرة أن تترك حقيبة يدها، فهي ليست بحاجة إليها كي ترى الأطلنطي. تبدو له الأشياء وكأنها بعيدة الحدوث، ولكنه بعد فترة يراها وكأنها حقيقة بسيطة: حفيف الشجيرات، ثم بنطلونها (بالطبع ذو اللون الأزرق الفاتح الباهت) وقدماها على المدق، وخلف الأغصان الكثيفة والفروع شعرها المائل للحمرة. عاد ذهابها للسيارة عليه بالنفع: Your pipe. ثم تسير أمامه مرة أخرى، وتنحني هنا وهناك تحت الغصون المتشابكة، وينحني تحت الغصون نفسها عندما تكون قد استقامت في سيرها

خلال الأدغال. طريق كالمدق، ليس دائما واضحا، مدق غير مطروق. في البداية سار في المقدمة؛ فهو الرجل، وهي تجهل المنطقة مثله تماما. ذات مرة اعترضتهما حفرة موحلة حيث كان لابد أن يساعدها، منذ تلك اللحظة تتقدمه هي في السير. هو يفضل ذلك أيضا. تشي مشيتها الرشيقة السريعة بأنها مبتهجة. لا يمكن أن يكون الأطلنطي بعيدا. نورس وحيد يطير فوقهما. أثناء السير يحشو غليونه متعجبا دون أن يرغب في معرفة سبب تعجبه. في بعض الأماكن يفوح أريج زهور: لا يدري أي زهور هذه فالنباتات غريبة عليه. تعهد لها بأنه سيجد السيارة في أي وقت، ويبدو أنها تثق به. حتى يشعل غليونه كان لابد أن يتوقف هنيهة. الرياح عاصفة. احتاج إلى خمسة أعواد من الكبريت. في تلك الأثناء كانت قد واصلت سيرها حتى أنه للحظات لم يعد يراها؛ لحظات أحس فيها أنه يتوهم أو يتذكر شيئا غاب في دهاليز الذاكرة: هذه التمشية مع امرأة شابة. في الحقيقة هناك مدقات عديدة، أو ما يبدو كالمدق؛ لذا توقفت عن السير: والآن، إلى أين؟ لقد ترك الخريطة التي اشتراها بالأمس في السيارة، ولم تكن لتفيد أيضا في منطقة كهذه. في اتجاه الشمس يسيران. ليس هذا مدقا لتبادل الأحاديث. حيثما تقل الأشجار يمكن إلقاء نظرة على المنطقة بأكملها: ليست غريبة رغم أنه لم يكن هنا أبدا. ليست هذه اليونان؛ النباتات هنا مختلفة تماما. ومع ذلك يفكر في اليونان، ثم يفكر ثانية في جزيرة زولت في بحر الشمال. الحضور الدائم للذكريات يضايقه. منذ نصف ساعة يسيران. يريدان رؤية الأطلنطي. لا شيء آخر يفعلانه؛ لديهما وقت. ليست هذه كذلك منطقة بريتانيا الفرنسية، حيث كان لآخر مرة على البحر منذ

عام. نفس النسيم الساحلي. ربما يرتدي نفس القميص، نفس الحذاء - كل شيء بعد فوات عام. إنه يعرف أين هما الآن:

MONTAUK

اسم من لغة الهنود الحمر؛ يُطلق على قمة لونج أيلاند الشمالية، على بعد مائة وعشرة أميال من مانهاتن، ويمكنه كذلك أن يذكر التاريخ:

11/5/1974

تتدلى الغصون فوق المدق، الأمر الذي يجبرهما على الانحناء عند المرور تحتها؛ أيضا يعوق سيرهما بين الحين والآخر أحد الأغصان الجافة على الأرض، عندئذ تقفز فوقه. رشيقة للغاية، ولكن ليست جلد وعظم. شمرت البلوجينز حتى بطن ساقها. أردافها داخل البنطلون الضيق الذي ترتديه بلا حزام، وفي أحد الجيوب الجانبية يبرز مشط. ليست أطول منه ولا أقصر. لكنها خفيفة. يصل شعرها عندما يكون محلولا إلى خصرها؛ لكنها الآن قد عقدته ذيل فرس أحمر يتأرجح عند السير. لابد من الالتفات إلى المدق، إذا كان هذا يمكن تسميته مدقا؛ لذلك، ولأنه كان مترقبا ربما ليستطيع أن يخمن أي الطرق ينبغي سلوكها حتى يخرجوا من الأدغال، فإنه لا يرى هيئتها إلا بين الوقت والآخر. يلمح بلوزتها الفاتحة في الشمس. كذلك شعرها يبدو الآن في الشمس فاتحا. مواصلتهما السير تتوقف في معظم الأحيان على تقديرهما للأمر؛ لا مدق هنا. أحيانا تخطو خطوات واسعة حتى تصل قدمها إلى حجر

أو جذع شجرة، ساقاها الطويلان، إلا أن خطوتها واسعة جدا حتى أن جسمها العلوي لا يتبعها إلا بصعوبة. لعلها سوف تقوم بالحركة نفسها إذا كانت بمفردها: حركة الرأس العنيفة هذه، حتى تلقي بذيل الفرس خلف كتفيها. تزداد شكوكهما حول احتمالية وصولهما إلى الساحل، لكنهما يواصلان السير. ثم مرة أخرى، ولبرهة، تبدو وكأنها تسير على حبل، قدم أمام أخرى كراقصة على الحبل، تفعل ذلك وجذعها يبحث بليونة عن التوازن، ويجده. لم تلح في الأفق بعد أية كثبان رملية؛ ولا نورس في السماء. ذات مرة ظلت واقفة كي تشمر أكمام بلوزتها؛ الجو حار في هذه المنطقة المنخفضة، لا أثر لرياح البحر. عندما يقفان كما الآن بجوار بعضهما فإنه يشعر بالحضور الغريب لهما معا. يلاحظ أنه يضع يديه في جيبي بنطلونه. الغليون البارد في الفم. وجهها: لم ينسه، لكنها ترتدي تلك النظارة الداكنة الكبيرة التي تخفي عينيها. شفتاها أثناء النهار نحيفتان، وغالبا ساخرتان.

How did I encourage you?

لم توجه السؤال الآن، ولكن بالأمس أثناء الرحلة إلى هنا؛ من الواضح أن الأمر يدهشها، كما يدهشه عندما - كما الآن - يقف بجانبها.

When did I encourage you?

حجزوا له على طائرة يوم الثلاثاء.

في البداية اعتقدَ أنها واحدة من الساحرات المُصوِّرات اللاتي يرافقنه في مثل هذه المناسبات: تقرفص فجأة ثم تضغط على زر الكاميرا، وتطلب منه أن يجلس بطريقة معينة، وفي كل مرة عندما يكون المرء قد نسيها أخيرا فإنها تضغط ثانية على الزر، مرة، مرتين، ثلاث مرات، أربع مرات. لكنها لا تحمل كاميرا. إنها فقط تجلس معه وتصمت، لا تزعج، بينما يمطره رجل من جريدة بائسة لمدة ساعة كاملة بالأسئلة، على شاكلة: Have you been in this country before?. مقابلة تدور حول شخصه: Are you married, Where in Europe are you living, Do you have children?، إلى آخر تلك الأسئلة. كل هذا تعرفه هي أيضا الآن عنه، هذه المرأة الشابة. ذات مرة رفعَت سماعة التليفون عندما رن، إذ إنها كانت تجلس جواره، وأنهت الأمر على أفضل نحو؛ أشكرُها. ينتابني السرور عندما أسمع هذا السؤال What are you going to write next, play or novel or another diary?، لأنه يكون دائما آخر الأسئلة، أو قبل الأخير على أسوأ تقدير. أُصرح للرأي العام الأمريكي: الحياة مملة، لا أمرُ بخبرات جديدة إلا عندما أكتب. في الحقيقة ليست هذه دعابة؛ رغم ذلك فإنه يضحك. هي لا. فيما بعد، وأنا أمسك لها الجاكت الوبري، سألتها تهذبا عن اسمها مرة أخرى. فأجابت: «لين»، وكأنني لا أحتاج سوى معرفة اسمها الأول. شعرها الطويل المحلول يضايقها عند ارتداء الجاكت، لا أستطيع أن أساعدها هنا، ليس ذلك بمقدور يدي. سؤال آخر، الأخير: Do you consider youself a doomed man?. فيما بعد ألاحظ أنها نسيت سجائرها وولاعتها. تظل الولاعة أسبوعين تحت

المصباح، ولاعة رخيصة خضراء.

ما الذي أفعله هنا على وجه التحديد؟

يستطيع المرء السير في الشوارع دون معطف. عند الوصول هبت عاصفة ثلجية، ثم أصبح الجو ربيعيا مرة أخرى... هدموا سجن النساء على الناصية، تلك البناية الضخمة من الطوب البني المحروق، مكانه الآن ساحة رملية محاطة بأسوار شائكة. الحمام يهدل في القفص، لكنه يستطيع الطيران وقتما شاء. عدا ذلك لم يتغير سوى القليل خلال عامين. الأشجار الصغيرة في الشارع التاسع التي زرعوها عندما كان موجودا مازالت نحيفة وهزيلة، لكنها خضراء. (يا لشجاعة الكلوروفيل!) في السوبر ماركت، حيث أتناول فطوري هذه المرة أيضا، يقوم نفس الأفراد بخدمة الزبائن. سيارات التاكسي الصفراء، أكياس القمامة السوداء اللامعة في الشارع، صفارات سيارة المطافئ الحمراء. في الفندق تعرفوا على الزبون القديم: Did you have a good time؟ غرفة أخرى غير تلك قبل عامين، الأثاث هو هو بالضبط: الطاولة الصغيرة وعليها لوح من المرمر حيث يستطيع المرء أن يمد ساقيه فوقه، الأباجورات الطويلة الصفراء، فرش السرير الأصفر، السجادة خضراء، كنبة مريحة لونها كالبول، كرسيان فوتيه من اللون ذاته، الأزيز المألوف الصادر من "الإيركونديشن" الذي يستطيع المرء إغلاقه؛ كما يستطيع المرء فتح النافذتين قليلا برفع الإطار المتآكل. ألواح الزجاج قذرة دائما. لابد من الاحتراس إذا أراد المرء إلقاء نظرة على تقاطع الشوارع إذ إن حاجز هذه النوافذ منخفض. في الأحلام فقط يستطيع الإنسان

الطيران بقوته الذاتية.

May I introduce you

ثم لا أصغي إلى الاسم، أو أنساه على الفور، أنهض وأجيب. لست دائما أعرف هوية الذي أجيبه. لماذا يفعل المرء ذلك. لابد من ذلك (كما ترى دار النشر) من أجل الكتاب -

لين

باستطاعتي أن أتلفن تحت أي حجة متعلقة بالعمل. ربما العشاء معا. بمجرد أن أُعجب بامرأة أشعر بأنني أكلف نفسي فوق وسعها.

HUDSON

عدة نوارس سمينة على حاجز الأمواج؛ اللقاء مع الانعكاس الزيتي على صفحة الماء. مازالت الباخرة العتيقة راسية. لحى من الطحالب عَلِقت بالسلاسل. هليكوبتر يطير. الرياح تهب، والمياه السوداء تصفق على حاجز الأمواج الذي كان خشبه متآكلا منذ عامين أيضا. ترقد سفينة شحن كبيرة بيضاء هامدة بلا حراك - ربما سوف تقلع في اليوم التالي ، STATENDAM، في الريح يرفرف علم هولندي. في الخلف الطريق السريع القديم الذي يصلحونه الآن. ومازال هناك أيضا البار الصغير المظلم حيث يلعبون البلياردو BLUE RIBBON، الحروف الضوئية حمراء في لون عصير أثناء ساعة الغسق. أما غرباً فهناك منظر الشمس التي تغرب لتوها بابتذال. أمامه سفينة شحن طويلة سوداء. عدة أفراد على حاجز الأمواج يمشون

الهوينى مثلي. شاب أسود يقود دراجته بطريقة لولبية. متحابان، لا تبدو هيئتهما إلا كظل، يجلسان متعانقين متشابكين على حافة الحاجز العريضة. عجوز مع كلب. كلب آخر بلا صاحب. الحبال الطويلة السميكة المصنوعة من القِنَّب. علبة بيرة فارغة من الصفيح تبدأ في التدحرج بفعل الريح.

AMERICAN ACADEMY OF ARTS AND LETTERS:

أنهضُ وأُعربُ عن شكري.

MUSEUM OF MODERN ART:

أتهرب من الفن وأجلس في الفناء ذي الحديقة طوال الضحى. ربما لا يثير الفن اهتمامي عندما أكون بمفردي. استمتع بجلوسي هنا تحت الأشجار. أجلس في هذا الفناء (مور، بيكاسو، كالدر إلخ) منذ عشرين عاما وأكثر:

1951

1956

1963

1970

1971

1972

في الطريق ينتابني مرة أخرى الشعور بأن الجسم أصبح أخف،

خفيفا تماما، وكأن الجاذبية قد قلت مع السير الطويل: كل ما أراه يبدو سهل التحقق، فقط عليّ ألا أبوح، بل أن أفعل.

CENTRAL PARK:

علمني أحد الحراس أن السنجاب المشهور ليس سنجابا، وإنما نوع من جرذان الأشجار. السنجاب كان يعيش هنا منذ فترة مضت. لون جرذان الأشجار ليس أحمر كالسنجاب، لكنها ليست أقل رقة. باستطاعة المرء أن يرقبها عدة دقائق؛ إلى هذا الحد تبلغ ألفة الجرذان بالناس. الفارق بينها وبين السنجاب أنها تلتهم السنجاب.

WHITE HORSE:

يتفادى الكاتب تلك المشاعر التي لا تصلح مادة للنشر. ينتظر عندئذ أن يتناول الأمر بسخرية. ما يستقبله بحواسه يخضعه للسؤال عما إذا كان جديرا بالوصف. إنه لا يحب أن يمر بشيء لا يستطيع أبدا صياغته في كلمات. مرض المهنة هذا يدفع ببعض الكتاب إلى إدمان الشراب.

SANITATION

مازلت أستيقظ مبكرا جدا. قبل أن يبدأ برنامج الحياة اليومي يسحبون كلابهم عبر الشوارع، صغيرها وكبيرها. يمسكون بالحزام بينما تبول الحيوانات أو تتبرز. ساعة للكلاب صباحا، ساعة للكلاب مساء. فلتحذر إذن أين تخطو. يلفت النظر مدى تعلقهم بكلابهم. الناس هنا يشعرون باحتياجهم إلى الحب. يتركون الكلاب المتشممة

تسحبهم من موضع إلى آخر، وينتظرون بلا تبرم، حتى لو هطل المطر. فقط أمام إشارة المرور الحمراء فإنهم لا يستجيبون إلى كلابهم ويقاومون الشد والجذب إلى أن يضيء اللون الأخضر. الخراء في كل المنطقة. لدى البعض أكثر من كلب واحد. منطقة يملؤها الاحتياج إلى الحب. السيارة البيضاء بالمكنسة الدائرية لا تصيب كل الأهداف؛ هناك دائما مخلفات.

LONG DISTANCE:

بكاء امرأة عبر التليفون يشعره بالعجز، العجز التام؛ يشعره باستحالة أن يمسك بمعصمها - ولو أن ذلك لن يغير من الأمر شيئا.

FIFTH AVENUE HOTEL:

يميل لون السجادة نهارا (دون ضوء الأباجورة الصفراء) إلى الأزرق وليس الأخضر. في هذه اللحظة تسطع أشعة الشمس فوقها مكونة مربعا غير متواز، لكن الهواء حول الساقين بارد. كنت أقرأ وأفكر فيما أقرأ: وفجأة ذلك الشعور بذاكرة البشرة: **ربيع، نعم، أنت!** وبالتحديد أشعر بالشمس فوق هذه السجادة التي أعرفها، إذ إنني قبلتها ذات مرة. **بك أنت أحسستُ!** وفجأة لا ينفع أي كتاب (Fiction) في مواجهة ذاكرة البشرة هذه التي يزداد شعوري بها بسبب تلك البرودة حول الساقين فوق الجوارب؛ ليس شدو الطير هو الذي ينفذ من الشباك المفتوح، وإنما ضجيج المرور في مدينة كبيرة، ضجيج بعينه يتكون مع انطلاق الباصات عند الضوء الأخضر في تقاطع الميدان الخامس مع الشارع التاسع. مرة أخرى أضع قدمي

بالحذاء فوق الطاولة المنخفضة وأتناول المكسرات من كفي الأجوف.

My greatest fear: Repetition

طالبة أمريكية من مدينة يل لا تسأل تلك الأسئلة المعتادة التي يكررها نقاد أدبي، وإنما تسأل: هل يريد بطل روايتك «شتيلر» خلاص البطلة يوليكا فعلا، أم أن كل ما يهمه أن يكون هو مخلصها؟

WASHINGTON SQUARE

لاعبو الشطرنج يقفون على الطاولات الحجرية العامة المزودة بالأشكال الشطرنجية المقاومة لتقلبات الطقس. فوقهم الخضرة وزقزقة الطيور. غالبا ما أظل واقفا هناك لمدة طويلة، واقفا فقط؛ فأنا لا أجلس أبدا. اليوم سألني شخص، شخص أسود، إذا كانت لدي رغبة في أن ألعب معه. ليس باللاعب الممتاز، كما لاحظت من قبل، ومع ذلك لا أجرؤ على اللعب معه. هل لا أتقبل الهزيمة؟ أم لا أتقبل النصر؟ - لأنه لا يؤثر فيّ؛ بل على العكس، فبعده يمسي وعيي بفشلي في المنزل أكثر إلحاحا.

COMMERCE STREET 15

لا أريد أن أسكن مرة أخرى في أي من البيوت التي سبق لي السكن فيها، ولا حتى في ذلك البيت المريح. غرفة في كل طابق. في القبو مطبخ مثالي، ومائدة لتناول الطعام حيث يشعر المرء وكأنه

في كابينة قارب، لابد من إشعال الضوء حتى أثناء النهار؛ من خلال النوافذ الصغيرة لا يرى المرء زبد البحر، وإنما الثلج المتراكم فوق الرصيف، سيقان المارة في الجليد والوحل الثلجي، وسيقان الكلاب الأسرع. في أعلى المنزل، حيث حاولت أن أعمل، يشعر المرء بالاهتزاز على أشده؛ ضجيج عربات النقل الثقيلة التي تجر خلفها مقطورات ثقيلة تبدأ قبل انبلاج الفجر بوقت طويل، وعندما تصمت - لأنها مجبرة على الانتظار دقيقة أمام إشارة المرور - يسمع المرء ضجيج مترو الأنفاق. رغم ذلك فإنني أشعر وكأن الهدوء يسود المنزل - هدوء وكأنني أصم. أزيز الثلاجة الخافت، خطواتي، خشخشة الورق عندما أقلب صفحات الجريدة. أسمع الخطابات وهى تلقى من فتحة الباب، أسمع صوت المفتاح وهو يوضع ويدور في قفل باب الشقة. هل كنت أصم؟ أسمع ما يقال لي وأصدقه. استمعت أيضا إلى اسطوانة عليها صوت هدير البحر الحقيقي (حتى لا يسمع المرء ضوضاء الشارع)، هدية لطيفة -

سمعنا كيف يقرأ بابلو نيرودا.

VIA MARGUTTA:

هذا من تأثير الهواء الدافئ، الضوء: فجأة أنا في روما. الخلفية المعمارية وحدها لا تتناسب مع ذلك، وهو ما ألاحظه. لا أعلم ماذا أفعل في روما؛ فقط أنا الآن في روما للبرهة -

GOETHE HOUSE:

الإنسان الناجح ذو المكانة يمكن أن يبدو أبلها كفرس النهر. النساء لا يعاشرنه فحسب، بل إنهن - دون طلب أحد - يظهرن جاذبيتهن بلا تحفظ تقريبا. في الشارع، وأنا أسير مجهولا في الزحام، يعاودني الشعور بأنني أبله تماما.

EIGHT STREET BOOKSTORE:

أن يستطيع الإنسان أن يقف في دكان يبيع الكتب بالرغم من انتصاف الليل . . . اشتريت قاموس لانجنشايت الصغير الأصفر، لكي أحرج ذاكرتي في كل مرة أكشف فيه عن كلمة؛ إذ إن المرء كان يعرفها يوما ما:

SENSIBLE / SENSITIVE / SENSUAL

خبر وفاة كونراد فارنر في زيورخ أقرأه في المصعد دون أن يفوتني بسبب ذلك النزول في طابقي. استراح كونراد فارنر من أشياء كثيرة، يتكاثر الموتى كدائرة من الأصدقاء.

أوليفتي ليترا

لم أستطع أن أتحكم في نفسي - اشتريت آلة كاتبة صغيرة دون أي نية أدبية. (فشلت للمرة الرابعة في إتمام قصة أدبية تجري أحداثها في إقليم التيسين؛ موقف القاص غير مقنع). هذا الهوس: كتابة جمل على الآلة الكاتبة -

PRO MEMORIA

أحد النبلاء الفرنسيين يطلب وهو سائر إلى المقصلة ورقا وريشة حتى يسجل شيئا، ويُجاب طلبه. يمكنهم أن يعدموا ما سجله إذا كان يتوجه إلى أي شخص. ليس هذا هو الحال. إنها ملاحظة له وحده فقط: للذكرى.

ما علي أن أفعله في نيويورك، كان من الممكن فعله في زيورخ أو برلين أيضا. لقد فعلته في برتسونا (تيسين)، على ما اعتقد. في روما؟ تلويث البيئة من خلال العواطف التي لا يمكن استخدامها بعد الآن - شيء متعفن لأنني لم أبح به أبدا، أو لم أكن أبدا صادقا بالقدر الكافي، لم أقم بفعل الوداع عن وعي. حان الوقت لذلك. حلمت قبل أمس: إنهم سوف يعدمونني الأربعاء القادم، ولا أفهم لماذا الأربعاء القادم، أنا بصحة جيدة، هذا التسلط الظالم من مصلحة حكومية لا تعلم شيئا على الإطلاق، مصلحة دون عنوان؛ ولا سبيل لتقديم اعتراض.

حلم آخر:

يتهامسون. من؟ يقولون إن تابوت أبي تحطم، وهو ما لم أره، ولكنني أتخيل حدوثه. سيُجن المرء من ضيق المكان. يناولونني شيئا حلوا مما يعزون به الأطفال. مارة. فجأة لا أفهم لماذا ينبغي أن أرقد في التابوت. لقد صعدوا إلى ما يشبه الزورق، كلهم بملابس سوداء، يقفون في هذا الزورق ومعهم مجاديف طويلة. بحيرة زيورخ. لا أحد يمنعني، أعدو، أجد عارضة خشبية طويلة معلقة على حاجز، خشبة نجاة يمكن استخدامها في الطوارئ مجدافا؛ لكن الأمر صعب لأن العارضة بلا حافة لجرف المياه. سأريهم. لا

أستطيع التذكر على أي شيء أقف - جذع شجرة، لوح خشب؟ أقف وأجدف مقتربا منهم. كشف لي شخص عن وجهتهم. عندما استطعت أخيرا اللحاق بهم والتجديف بجوار زورقهم فإنهم لا يخاطبوني. اسمع ما يقولون. ليس بكم حاجة إلى الهمس! ولكنهم لا يتهامسون على الإطلاق، يقولون: ستنفجر رئته الآن. لا يراودهم شك في أنني قد انتهيت. هذا ما كان ينقصني - أن أجدف. اعتقدوا أنني سآخذ الأمور على محمل هين، لن أسبب لهم متاعب، لن أقاوم. يبقى الأمر دون تغيير: نُجدف للحاق بالجنازة. لا أفهم ذلك لأنني - كما يرون - ما زلت قادرا على التجديف. لم يعد أحد يتحدث معي. الوقت ضيق.

TRATTORIA DA ALFREDO

اعترف بأنني لم أكتشف هذه الكافتريا الإيطالية مصادفة. لقد بحثت عنها وكأن هناك شعورا لابد من تعويضه: a cause d'une femme. لا أريد أن يتعرف علي أحد هنا، لذا لا أقف إلا لإشعال الغليون؛ وكأنني أحد المارة الذين لم يفقدوا هنا شيئا. الشعور بالخجل لأنني أقف هنا بعد مرور عامين؛ في انتظار الخضرة. على فكرة، لم أر الكافتيريا الصغيرة إلا من الخارج؛ المقاعد فوق الموائد الصغيرة. فمازلنا في بداية الضحى. لرؤية الكافتيريا من الداخل لا بد من تقريب الوجه من لوح النافذة العاكس، ووضع كلتا اليدين فوق العينين لتفادي الانعكاس. لم أفعل ذلك. فزعت عندما رأيت هيئتي في اللوح الزجاجي. عندما تخضر الأشجار فإنني أعرف: حكاية طبيعية. هل أطلقت الرصاص؟ على كل حال نسيت الآن إلى

أين كنت أريد الذهاب، لكنني أواصل السير. دون معطف. في الجو برودة، ربيع مثل آنذاك، ضحى ذو سماء زرقاء صافية ورياح بحرية. أثناء سيري أقرأ بدقة كل إعلانات الدعاية، على الرغم أنه ينبغي أن أقوم بأشياء أخرى.

على الإنسان تحمل عبء الحقيقة.

لا تطيق هذه الجملة. قول مأثور. تراه قولا مبتذلا. ماذا تعني كلمة حقيقة! اختلفنا حول معنى الابتذال.

MY LIFE AS A MAN

هذا هو عنوان الكتاب الذي أحضره فيليب روث بالأمس إلى الفندق. لماذا أخشى عنوان الكتاب مترجما: حياتي كرجل؟ أريد أن أعرف ما الذي سأعلمه - وأنا أكتب تحت ضغط الفن - عن حياتي كرجل.

جياكومتي:

معرضه مُقام في هذا المتحف الذي لا يُطاق ذي الطريق اللولبي الصاعد. افتتاح المعرض بحضور الفنان، آلاف من البدل السموكينج مع سيدات في فساتين سهرة طويلة؛ ثم صورته الفوتوغرافية كبورتريه بحجم أكبر من الطبيعي: هذا الوجه! . . . مَن أو ماذا يمنح الإنسان مكانة؟ الإنجاز إلى حد ما. هل يمنح المرء ذاتَه المكانة؟ الفاشل أيضا قد تكون له مكانة. من خلال ماذا؟ المكانة لا تعني الشهرة. أعرف إناسا فقدوا الشهرة أثناء حياتهم؛ لكن بقيت مكانتهم. ليست

المكانة هي بريق المنتصر. في أي شيء تتجلى المكانة؟ قابلت إناسا لهم مكانة، رجالا ونساء، شيوخا وشبابا، مشاهير وآخرين. لم أقابل جياكومتي أبدا. التقابل مع أناس لهم مكانة (ليس من الضروري أن يكونوا من التخصص نفسه) يمنح المرء شجاعة غريبة؛ إنهم لا يلجأون للمديح حتى يشجعوا الآخرين. سواء كانوا يوافقون أو يعارضون فإنهم يمنحون الآخرين شأنا؛ ويخوضون معركة أخرى في انتظار الحصول على مكانة. مثل هذا التوقع قد يخيب بالطبع. عند ذوي المكانة لا يكون توقع المكانة بلا تبصر، ولكن بغض النظر عن النجاح أو عدم النجاح، إنهم يضعون المقاييس التي تُتبع فيما بعد. هذا هو بالتأكيد ما يميزهم، أكثر من إنجازهم الذي لا يستطيع الآخر تقييمه في كثير من الحالات. مكانتهم تضفي بريقا على إنجازهم. ليسوا دائما لطفاء، لكنهم واثقون من توقعاتهم حتى عندما يتصرف أحدهم أحيانا دون المكانة. يأخذون شكوكهم الذاتية بجدية، لكنهم لا ينزلقون إلى اتهام الذات كالآخرين الذين، إذا لم يُبالغ في الترحاب بهم، يتخلون فورا عن توقعاتهم، ويتواضعون بطريقة تستصغر كل شيء - كل شيء فعلا.

ربات الانتقام الإغريقية

إنهن لا يمزقن المرء، هن يقفن فقط في ركن ما: هنا فوق، في الطابق الثالث، سكنتَ ذات مرة، / WAVERLY PLACE CHRISTOPHER STREET ، قبل 23 عاما. كأنني لا أعلم ذلك! لم ألق ولا حتى نظرة إلى أعلى الواجهة، ألحظ أن الدور الأرضي يشغله الآن دكان آخر، آنذاك كانت هناك بقالة، مقززة. كان دخلي

200 دولار في الشهر، وإيجار الشقة 100 دولار في الشهر. ذات مرة سقط من يدي أصيص زهور كان على حافة النافذة ولم يصب أحدا.

أين ستمسك بخناقي ربات الانتقام؟

وجدنا مؤخرا كلمة لذلك: نوبة. في كل مرة ينتابها الفزع، أعرف، ولا تستطيع فهم الأمر على الإطلاق. مع أن الأمر لا يسبب أي خطر جسدي يهدد الشريك؛ تخطئ إذا كان هذا ما تخشاه؛ ليس ثمة أدنى غواية لذلك. إذا حدث اشتباك بالأيدي فهو ضدي أنا نفسي: لكي أعبر عن ذاتي. أحسب أنني أفهم، أفكر، أعرف؛ دون مراعاة لأحد. في البداية كنت شبه مسترخ، دون مراعاة لنفسي أو لأي أحد. لا أصرخ، في البداية على الأقل؛ إلا أنني أغدو شخصا لا يمكن مخاطبته، حتى عندما أصغي لبرهة من الوقت. الحقيقة التي أحاول التعبير عنها، الحقيقة التي أتوصل إليها في تلك اللحظة نادرا ما تكون حكما ببراءتي. قد يكون السبب شيئا تافها، لعله من المثير للاستهزاء مجرد ذكر تلك التوافه. أنا اعتبرها إشارة وبالتالي ليست من التوافه، إشارة ذات معنى محدد تماما بالنسبة لي، حتى أنني لا أكاد أطيق أي تفسير آخر لها، ناهيك أن يكون تفسيرا مهوّنا. لا اتهامات، كلا، أنا أتحدث عن معرفة. هكذا يبدو الأمر بالنسبة لي. في اللحظة الراهنة، دون أي خوف من العواقب التي أراها. الخطاب (المونولوج) الذي ألقيه تفوح منه رائحة الإعدام - ليس بدافع الكراهية. ماذا على الشريك أن يفعل؟ عليه أن يفهم ما لا أقدر التعبير عنه؛ عليه أن يبدي موافقته. لا أطيق ذاتي. عندئذ لا يمكنني أن أستيقظ كالحالم الذي يستيقظ من حلم لا يُطاق. على النحو

الذي أرى فيه الأمر في هذه اللحظة، يكون الأمر في الحقيقة، هكذا وليس على أي نحو آخر؛ وأشعر بأنني على استعداد. لأي شيء؟ ثم أكرر نفسي، أعرف. لا عودة إلى العقل، التعقل يجرحني، يهينني، بل ويحرر الغضب من قيوده. مع أنني كنت في البداية مسترخيا تماما؛ ما قصدته ليس اتهاما، بل هو أهم: الحقيقة، حقيقتي أنا. عندما أمزق قميصي، فأنا أعني بشرتي. أتوجه بالرجاء، ولكن من الواضح أن الوقع على الأذن يكون مختلفا كل الاختلاف؛ أتضرع. كل ما أقوله الآن لن يكون إلا جارحا. لا يخطر على بالي شيء آخر. في هذه اللحظة أود الموت مقابل أن أعبر عن نفسي مرة واحدة بطريقة مفهومة، دون أن يطلب أحد ذلك. بعدها أجد أن غضبي كان هباء، لم يحل أبدا أي مشكلة - وفوق ذلك عليّ أن اعتذر.

SWEET'S

يقولون إنه أعرق مطعم سمك في المدينة. مبنى بسيط في السوق القديم، آيل للسقوط منذ سنوات. مَن لم يسمع به من قبل، لن يدخل هنا أبدا. في الظهيرة لا يحصل المرء على مائدة إلا بصعوبة بالغة. عندئذ يتناول العاملون في «وول ستريت» طعامهم. لقد أحضرت أصدقاء عديدين إلى المطعم منذ أن عرفته. إنهم يقدمون هنا - بالإضافة إلى أطباق السمك بمختلف ألوانها - نبيذا أبيض حلو المذاق، نبيذا أمريكيا ممتازا. تحت طريق السيارات العلوي يرى المرء اللمعان: east river. لم تكن لين أيضا تعرف المطعم. إنه يعجبها؛ ليس هو بالمطعم الأنيق إطلاقا. توسطَت مرة

أخرى من أجل حديث صحفي، وظيفتها. شعرها الطليق ونظارتها: حورية، وإلى حد ما ممرضة. في الصيف ستسافر مع والديها إلى اليونان، نصائحي القيمة احتفظت بها لنفسي: guided tour. لأن لين لم تقرأ شيئا مما نشرته، فإنني استمتع بأن أدعي العكس على طول الخط: - السياسة لا تهمني. مسئولية الكاتب تجاه المجتمع، وكل هذا الكلام . . . الحقيقة هي أنني أكتب لأعبر عن نفسي. أنا أكتب لنفسي. المجتمع - أي مجتمع - ليس رب عملي، لست كاهن المجتمع، ولا حتى ناظر مدرسته. الرأي العام كشريك؟ أقابل شركاء أكثر صدقية. إذن أنا لا أنشر لأنني اعتقد أنه يجب إسداء النصح للرأي العام أو هدايته، وإنما لأن الكاتب بحاجة إلى جمهور متخيل حتى يستطيع أن يتعرف على ذاته أساسا. ولكنني في الأصل أكتب لنفسي . . . لين لا تعترض إطلاقا؛ يقع الكلام على الأذن أكثر إقناعا (بالنسبة لي أيضا) مما كنت أعتقد.

You are a rich man, I am sure, but this is a business lunch, you should not pay for this, it's just silly.

مؤخرا (ها قد مضى على ذلك الآن عدة سنوات) رأيته بالصدفة في أحد شوارع زيورخ (ليماتكفاي)؛ أصبح رجلا ثقيلا. كنا زملاء في نفس المدرسة الثانوية في زيورخ. لا أعرف إذا كان قد تعرف علي أيضا؛ لم يلتفت، وتأثرت بشدة لأنني لم أسر وراءه فورا وظللت واقفا. وهكذا لم أعد أراه إلا من الخلف. بلا قبعة. كتفان عريضان، طويل جدا، لا يمكن أن يخطئه المرء في الزحام، وأنا قد رأيته من الأمام. كان يحملق أمامه، غارقا كما يبدو في أفكاره؛ الآن

ينكس بصره إلى أسفل على الأسفلت، وكأنه تعرف هو أيضا علي. إنه يعرف، وأنا أعرف ماذا فعل من أجلي. لم أناد حتى عليه عبر الشارع كي يستدير. ما الذي سيفعله ف. بالشكر الذي أدين له به مدى حياتي؟ أعرف كذلك أن كفتي على وجه الإجمال ليست راجحة أمامه. كان دائما أول الفصل، ليس عن حب في التفوق؛ كان أذكى من الآخرين، شاعرا بعبء أن يكون أذكى، لذا تميز بالدقة أيضا؛ بل إن مديح المدرسين كان بالأحرى يحرجه. حتى لا يظهر في صورة التلميذ المثالي كان يتصرف أحيانا بفظاظة بالغة مع المدرسين. بعد المدرسة كنت أصحبه إلى البيت، وهو ما يطيل طريقي كثيرا، لكنه كان مكسبا؛ عن طريقه سمعت لأول مرة عن نيتشه مثلا، عن أوزفالد شبنجلر، عن شوبنهور. والداه كانا بالغي الثراء. لم يمثل له ذلك أهمية، لم يكن سببا لثقته بنفسه. أن يقوم برحلة حول العالم مثلا، وهو ما كان سيُسمح له بعد الحصول على الثانوية العامة، كان بالنسبة له أمرا مستبعدا ، السيارة أيضا؛ كل السطحيات كانت تنفره. كان كائنا فلسفيا؛ كنت أندهش لتنوع الأشياء التي يفكر فيها عقله. كان يتمتع أيضا بحاسة موسيقية رفيعة، على العكس مني؛ أمسيات بطولها وهو يُسمعني اسطوانات لباخ وموتسارت وأنطون بروكنر، وآخرين لم أكن أعرف حتى أسماءهم؛ كان يقول: ليس هناك إنسان معدوم الحس الموسيقى. كنت أكتب للصحف، ويملؤني الفخر عندما تُطبع تلك الأشياء الصغيرة؛ حب الظهور لدي، أعتقد، هو أول الأشياء التي خيبت أمله في. كان لابد أن أكسب نقودا، بالطبع كان يفهم ذلك، ولكن ما أكتبه كان مخزيا بالنسبة له. شجعني على الرسم، فالموهبة، في رأيه، لا تنقصني.

أحكامه عن الفن التشكيلي كانت كذلك غير مألوفة، ليست ثمرة قراءة فحسب، وإنما نبعت من حساسيته الخاصة. لكنني لم أتجرأ وأرسم رغم تشجيعه لي، إلا أنني تعلمت منه قراءة اللوحات. سرعان ما غدت الهوة بيننا في المفاهيم الفلسفية أوسع من أن أكون محاوره؛ لم يعد يقول لي ماذا يقرأ في الوقت الراهن إلا نادرا، ومن المحتمل أنني نسبت إليه هذا الرأي أو ذاك مما كتبه سيجموند فرويد، دون أن يكون قد قصد خداعي. ببساطة كان أمرا غير مجد إذا ذكر لي مصادر استشهاداته التي كنت أجهلها. لذا شجعني على الرسم. أما هو فقد توقف من جديد عن عزف التشيلو لأن عزفه - رغم تفانيه في التدريب - لم يصل إلى المستوى العالي الذي طمح إليه؛ يداه، هكذا قال، أثقل من أن يتقن العزف. كان ف. عموما يثقل على نفسه. كان والداه يعرفان بالطبع أنه لن يتولى أبدا مسئولية قيادة الشركة؛ فقط في الفترة الأخيرة انضم إلى مجلس الإدارة، ولم يفعل ذلك إلا كارها. درس لفترة الطب، واجتاز الاختبارات الأولى؛ لم أفهم تماما لماذا كان عليه التخلي عن الطب. على كل حال لم يحدث ذلك بسبب رعونته. بعدها انشغل بالرسم، وكان يستولي علي الإعجاب لما يبدعه؛ لم تتسم لوحاته أبدا بالتفرد، لكن بالجموح. إنسان غير عادي. عبئه كان ولا شك أثقل منا كلنا. بالمناسبة، كان يفوقني جسمانيا أيضا. كان لوالديه ملعب تنس خاص في الحديقة. أهداني ف. - لأنني كنت تقريبا معدما - مضاربه المستعملة حتى نستطيع اللعب معا. لم يكن يلعب ليكسب، لكنه ببساطة كان يلعب أفضل. تعلمت منه ما علمه إياه المدرب، وأكثر من هذا: علمني أن أخسر، ألا ألعب من أجل النقاط التي لم

تمثل له أي أهمية، فقد كان يسجل النقاط، ولم يكن لدي أي أمل في الفوز. استمتعت للغاية بتلك الساعات. عندما يبلغني أن الملعب اليوم مبلول، كنت أشعر بالتعاسة. كنت أحلم بـ ف. عندما أزوره، كانت الخادمة تجيء إلى الباب، وتطلب مني بأدب أن أنتظر في البهو حتى تسأل عنه في الطابق العلوي، وهو ما يولد لدي بالطبع الإحساس بأنني أسبب الإزعاج، حتى عندما لا يرفض ف. لم يكن ف. يبادر أبدا بالاتصال بي إلا في النادر، لكنه يتعجب مني إذا مرت عدة أسابيع دون أن أتصل به. كان صديقا ودودا، صديقي الوحيد آنذاك، فبجانبه لم يكن ممكنا أن أفكر في صديق آخر إلا بصعوبة بالغة؛ لم يكن أحد ليقف على قدم المساواة مع ف. بالمناسبة، كان والداه – المهمومين من أجل ابنهما – يظهران دائما اللطف البالغ؛ إذا سأل ف. عن بقائي لتناول العشاء، يأتي الرد دوما بالموافقة. على فكرة، كان أول بيت ثري أتعرف إلى أهله؛ وكان أرقى من بيوت أخرى تعرفت إليها فيما بعد. باختصار، تملكني شعور مَن يتلقى الهدايا. الأمر الأصعب كان يواجهني عندما أريد أن أهدي ف. شيئا بمناسبة عيد ميلاده أو مولد المسيح؛ هداياي كانت تربكه، لأن ذوقه كان متطورا بمراحل عني، ونادرا ما استبقى الهدية ولم يقم باستبدالها. كنت قد خطبت لأول مرة؛ ولم يكن في استطاعتي استبدال الخطيبة. كانت تخشى ف. ، أعتقد، لأنها لم تود الاعتراف بتفوقه، الأمر الذي آلمني. حدث ذلك منذ أربعين عاما. كثيرا ما ساءلت نفسي، ما الصفات التي تعجبه في. كنا نتجول كثيرا، ونذهب للسباحة. كان يتمتع كذلك بعين بالغة الحساسية نحو الطبيعة. كل الأشياء التقنية في الطبيعة – أسلاك الضغط العالي وما

شابهها - كانت تمثل له إهانة تكاد تكون جسدية. عن طريقه - دون أن يلقي علي محاضرات كالمعلمين - تعرفت إلى كاسبر دافيد فريدريش، وكورو، ثم أيضا إلى بيكاسو والأقنعة الإفريقية. لم يحدثني عن أشياء كثيرة يعرفها. جبت مرة ربوع اليونان، وبالطبع حكيت له عن ذلك، فشعرت أن ف. كان سيرى أكثر. هذا الشعور، أعتقد، كان لديه كذلك؛ كان يصغي إلى أن يقطاعني ليلفت انتباهي إلى شيء جدير بالرؤية، لم أكن بالفعل لأراه دونه، شيء آني، فراشة مدهشة مثلا. كان يرى ببساطة أكثر مني. شيء واحد فقط لم أتلقاه منه أبدا بالعرفان: بدله التي كانت أكبر من مقاسي بنمرة. صحيح أن أمي كانت تقصر الأكمام، والبنطلونات أيضا، بالرغم من ذلك لم تكن على مقاسي. كنت أرتديها فقط حتى لا أجرح مشاعر ف.؛ نيته طيبة، إذ كان يرى أنني لا أستطيع شراء بدل. قماش البدلة أو المعطف الذي يعطيني كان دائما في حالة جيدة. أما لماذا لم يعد يرتدي تلك الأشياء فشيء لا يخصني. لم يكن ف. أبدا من الغنادير اللاهثين وراء الموضة؛ أعتقد أن خياط والديه الخاص كان يأتي إلى البيت من وقت لآخر. في النهاية كان يهديني أيضا أشياء أخرى غير الملابس - اسطوانات مثلا، سيمفونية كاملة. أبدا لم يكن يوزع هداياه كالأعمى مثل الأثرياء الجدد، أبدا لم يكن سفيها أو مبالغا بالنظر إلى ظروفي، ولكنه يدرك أن دخل الصحفي والناقد الشاب ضئيل، دون أن أجد نفسي مدفوعا للتحدث حول ذلك. امتلك حسا مرهفا، لذا كان محرجا أمامي من الترف العائلي؛ وهو ما لم يكن على حق فيه، لأن ف. لم يجسد الترف في عيني أبدا. بالأحرى بدا لي في غرفته المطلة على الحديقة

والمدينة والبحيرة كأنه الفيلسوف اليوناني ديوجنيس - الاستقلال عن طريق الذهن. كان يتنقل بالترام مثلنا. عموما، لم يختر أبدا الطريق المريح، بل عامل نفسه بقسوة. في أكتوبر، عندما تكون المياه قد باتت باردة، كان يسبح في البحيرة، جيئة وذهابا. فيما بعد دفع ف. لي تكاليف دراسة أربعة سنوات كاملة: 16000 فرنك سويسري (وهو ما كان آنذاك أكثر قيمة من الآن)، أي 4000 فرنك كل عام. أشعر في الواقع بالأسف لأنني تطرقت إلى موضوع البدل. لم أكن أستاء عندما يتعرف فجأة - في منتصف الحديث - على جاكيت له، ويقول إن الأقمشة الإنجليزية لا تفقد جودتها عبر السنين، وإنه سيكون خسارة لو . . . إلى آخره - كان الأمر بالأحرى يثير الضحك. لا أكثر. فترة طويلة كان يدعوني إلى الكونسير، ليس فقط في آخر لحظة عندما لا تستطيع والدته الاستفادة من التذكرة المُشتراة. كان يؤمن فعلا بأنه لا إنسان معدوم الحس الموسيقي - وبالفعل كثيرا ما كان يجتاحني الحماس، وإن كان بطريقة مَن لا يتذوق الفن، كما استشِفُ من تعبيرات وجهه؛ عندئذ كان ف. يصمت، ليس عن عجرفة، وإنما عن إحراج. ومع ذلك ظل يدعوني من آن لآخر إلى الكونسير، ليس إلى المسرح. لم يتجاهل النشاط المسرحي، ولكن عينه كانت ناقدة أكثر. تميز عموما بنظرة نقدية أعمق مني. كثيرا ما قابلته وهو في حالة يأس حقيقي: إنسان لا يأخذ أي أمر مأخذا سهلا، ولا يترفق خاصة مع نفسه. ليس يأسا هستيريا؛ كان يصور بوضوح وذكاء استحالة حل مشكلته. ما أقوله له لم يزيده إلا شعورا بالوحدة. همومنا - مثلا أزمتي مع خطيبتي اليهودية في الثلاثينات - لم تكن لتقارن مع همومه، هذا ما شعرت

به أنا كذلك. همومه كانت عامة، أما همي فشخصي بحت ويمكن إيجاد حل له، وهو ما كان يثق بقدرتي عليه بنحو أو بآخر. ليس معنى هذا أن ف. لم يشاركني في همومي، ولكن همومه لم يستطيع أن يشاركه فيها أحد، وخصوصا والده، ذلك الرجل ذو الطيبة الرزينة، ولا والدته أيضا التي كانت تعتبر نفسها مثقفة، والتي كان ف. يفسر إدمانها للعالم على أنه هروب. بعد سنوات طويلة لم ير فيها أحدنا الآخر (كنت قد عشت عاما في أميركا) حدثته عن طلاقي الوشيك، لم يوجه ف. أية أسئلة؛ صمته وحده أظهر لي أنني أصور الأمور باعتباري على حق. واصلنا غرز أقدامنا في وحل الغابة، وحاول ف. أن يتحدث عن شيء آخر، لكن لم يكن لدي عين أنظر بها الآن إلى فراشات. حتى نظل في موضوع طلاقي سألته عن زيجته؛ رغم أنني أعرف منذ أعوام الحكاية التي أخذ يفصلها الآن؛ ما يقوله كان أكثر أهمية، أكثر تعقيدا، وأعمق رؤية، لا يمكن أن ينطبق على حالتي. لو كنت تحدثت من جديد عن الصعوبات التي تواجهني لكان الأمر أكثر من مجرد انعدام ذوق. طلاقه كان فريدا. على الرغم من ذلك أقدمت على الطلاق بعد فترة. لم أنتبه في تلك السنوات أن لقاءاتنا كادت تقتصر علينا فحسب، أننا لم نلتق أبدا وسط مجموعة حتى أرى الصديق مُقارنا بآخرين. لم يرجع ذلك إليه وحده، وهو الذي يتجنب لقاءات السمر، وإنما أيضا لي. لم أعان من تفوقه طالما كنا وحدنا؛ فقد كان بديهيا. كان لدي، كما سبق القول، شعور مَن يتلقى الهدايا، مَن ينال وساما، تماما مثل تلك الأيام عندما كان يسمح لي بصحبته من المدرسة إلى البيت. أهداني إقليم الإنجادين. حتى اليوم لا أستطيع السفر في ذلك الإقليم دون

أن أفكر في ف. لا أعني فقط أن الرحلة إلى الإنجادين كانت ستكون باهظة بالنسبة لي. كان يعرف الإنجادين. كان أيضا المتسلق الأفضل للألب. كان لعائلته مرشد جبلي هناك يعطيه الدروس عاما بعد آخر. دون ف. ما كان لي أبدا أن أصل إلى هذه الجبال. كان يعرف أين ومتى تنهار الكتل الجليدية، وكيف يتصرف المرء في المناطق الخطرة. كان يربط حبل الإنقاذ الأحمر في شنطة الظهر، ويتفحص بعناية المنحدر، ويعاين الجليد، ثم ينطلق كالريح متزحلقا على الجليد إلى أسفل، ولا يتبقى أمامي سوى اقتفاء أثره الجريء، حسبما أستطيع. عندما كسرت الزلاقة ذات مرة إثر هبوط مفاجئ، اشترى لي ف. في الطريق زلاقتين جديدتين حتى لا نضطر إلى قطع الرحلة - لم يشتر أفضل ماركة، وهو ما كان سيحرجني، وإنما على كل حال ماركة أفضل وأربطة أمتن من التي كنت أملكها. فعل ذلك بتلقائية وهدوء، بل لقد بدا عليه بعض الخجل عندما وضع النقود على الطاولة؛ كان سيشعر بالإحراج لو أن النقود تترك انطباعا لدي. شكرته بالطبع. لم أستطع في حياتي تعلم التزحلق على الجليد، وما زلت حتى اليوم أتعجب لصبره؛ طبعا كان ف. في المقدمة، دون أن يقصد ذلك. لم يكن يتعجل، وعندما أصل بعد وقت طويل إليه - شاحبا إثر السقطات العديدة ومبهور الأنفاس، كان دوما يقول: على مهلك. لم يكن يضايقه الانتظار. أثناء ذلك كان يستمتع بالطبيعة، يشير بالعصا حواليه ويذكر لي أسماء القمم، يلفت انتباهي إلى صنوبرة قريبة أو إلى الإضاءة الخيالية، تلك الألوان الفريدة في الإنجادين التي كان يعشقها، الطبيعة التي عاش فيها زرادشت، الذي قرأته أنا أيضا، وربما لم أفهمه تماما. أنا، باعتباري الأضعف، كنت

أحدد متى نواصل الرحيل، ف. لم يُلّح، رغم أنه - دوني - كان سيكون قد وصل منذ فترة طويلة إلى بونترزينا؛ إلا أن ذلك لم يكن هو الهدف. أهداني الإنجادين الخاصة به. مازلت أعشقها حتى اليوم. من الصعب أن أقول كيف كنت سأصبح دون ف. لعلي كنت سأعقد العزم على فعل أشياء أكثر، ربما أكثر من اللازم. من ناحية معينة كان ف. دائما يشجعني، مثلا أن أتخلى عن كتاباتي وأن أتعلم الهندسة المعمارية. لم أنتظر من ف. أن يشاهد تلك المباني القليلة التي صممتها، أُرجح أنها كانت ستخيب أمله، عن حق. كان سيتألم أيضا إذا خاب أمله. عبر بضعة سنوات وأنا أحدثه عن العمارة، دون أن أستطيع إقناعه بأساتذتي، أو فيما بعد بمهندسين من أمثال كوربوسيه، ميس فان دير روه، وزارينن. عندئذ يعلو وجهه ذلك التعبير وكأنني أتحدث عن الموسيقى التي لا أفقه فيها - كما يعرف ف. - شيئا، أو عن الفلسفة. كان ف. يعرفني: من أيام المدرسة. لقد أصبح مقتنيا مهما. لعلي اكتشفت فيما بعد أنه لم يكن علي أن أسايره في كل شيء، إلا أن ذلك لم يحدث إلا فيما بعد. لم أكره ف. أبدا بسبب ذلك، إنه خطئي. في فيلا والديه كانت هناك لوحات، بشعة في رأي ف.، لوحات معدومة القيمة الفنية داخل أُطر ثقيلة ورثها أبوه. العدد الأكبر من اللوحات كان مخزنا في القبو. كان لأبيه شخصية رجال الأعمال المغامرين أواخر القرن التاسع عشر، ولكن بلا حس موسيقي، لم يكن حتى مثقفا؛ أحببته جدا، هذا الرجل، عندما يجلس بجانب المدفأة ويحكي بهدوء عن الصيد. في لوحات عديدة رُسمت أيائل وخنازير وديكة وكلاب. دل الاقتراح على نية طيبة من الأب، أو من الأم التي هزأت هي الأخرى

بتلك اللوحات، أو من ف. ، لم أعد أتذكر: إذا استطعت بيع هذه اللوحات فسوف أحصل على نسبة من الإيراد، أي أنني ربما أربح بعض المال دون إهمال دراستي. الشرط الوحيد هو ألا تتم السمسرة داخل الفيلا. الاسم والعنوان كانا سيجذبان مشترين سوف يتعجبون من الأمر. لم أشعر بالراحة التامة إزاء الاقتراح، من ناحية أخرى رأيت أنه من الصواب أن أسدي جميلا للبيت الذي أدين له بالكثير. تم تأجير جراج في حي آخر من المدينة، ؛ أيضا دفعت العائلة ثمن الإعلانات التي نُشرت ثلاث مرات أسبوعيا في الجريدة: **فرصة نادرة - لوحات قديمة من ملكية خاصة**. كتبوا لي قائمة بالحد الأدنى من الأسعار؛ وإذا استطعت أن أبيع بثمن أعلى، يعود ذلك - بنسبة مئوية - علي أيضا بالنفع. ضمت اللوحات على كل حال أعمالا لرسامين هولنديين صغار، دون توقيع؛ ويمكن الحديث عموما عن مدرسة فنية. رأى ف. أن لعب دور السمسار والتعرف إلى أناس من الممكن أن يكون خبرة طريفة لي. وهكذا قضيت فترة بعد الظهر ثلاث مرات أسبوعيا وحيدا في جراج مكتظ باللوحات، منتظرا ساعات تلو ساعات. بالفعل أتى هذا التاجر أو ذاك من تجار الأنتيكات من ذوي المستوى المتواضع غالبا، ولكن من المحنكين. لم يلتفتوا حتى إلى الإطارات، بل لم أكن في معظم الأحيان محتاجا إلى ذكر السعر. واصلنا نشر الإعلانات. اشترى أحد المحامين - المرتبطين مهنيا بشركة الوالد - لوحة كبيرة لمريم المجدلية عارية الثديين، لوحة تصلح لغرفة النوم. أما الأيائل والخنازير فكانت فرصتهم أقل. كنت ألفت الانتباه إلى لوحات طبيعية لا تعجب الصيادين فحسب، مناظر طبيعية بطواحين هواء في مواجهة أشعة

الشمس، أو أخرى لنبات الحلفاء. للرد على السؤال حول مصدر اللوحات كان علي ألا أذكر أسماء: **ملكية خاصة**؛ إلا أنني كنت أتحدث عن مدرسة هولندية، إلى أن ضحك عجوز رث الثياب في وجهي سائلا إذا كنت بالفعل أصدق ذلك. أتذكر أننا كنا في الربيع، وفي السادسة - عندما أركب دراجتي بعد انتهاء العمل - كنت أشعر بالسعادة، حتى لو لم أبع شيئا. كيف تسير الأمور، سألني ف. مظهرا بعض الاهتمام، اهتمام إنساني، إذ إنه لم يكن بحاجة إلى المال. من ناحية أخرى لم يكن ف. مخطئا عندما قال: يمكنني أن أقرأ في الجراج أيضا. استغرق الأمر برمته - على ما أعتقد - ثلاثة أسابيع، أي أن المدة لم تكن طويلة جدا؛ وبالفعل ربحت كذلك بعض المال، رغم أنني سرعان ما كنت أهبط إلى السعر الأدنى. ليس سمسارا جيدا إذن. كنت أشعر بالإهانة وكأن الأمر دون مستواي، طالما كررت لنفسي أن والدي - المهندس المعماري سابقا - قد عمل في سنواته الأخيرة سمسار عقارات. ف. كان يعرف ذلك بالطبع. لم يجد في الأمر أي عيب. لم تكن لديه أحكام مسبقة من هذا النوع. فيما بعد لم أستطع إخفاء شعوري بالإهانة، قلت له ذلك مازحا دون مزح، عندئذ تألم ف.، رأيت التأثر العميق على وجهه، فعائلته لم ترغمني وأنا قبلت الاقتراح. كان يجب علي أن أقول ذلك لنفسي. لم يصل الأمر أبدا إلى شجار. في تلك السنوات لم يكن لـ ف. - إذا لم أكن مخطئا - أصدقاء آخرون تقريبا، أصدقاء من نفس العمر؛ كان يعبد معلم التشيلو، ونحّاتا عجوز في زيورخ، وعالما كان يتردد على البيت. كانت لديه صديقة، لكنه حرص على ألا أتعرف بها. فتاة غير برجوازية على الإطلاق، لم

يتزوجها ولم ينسها أبدا. غرام تراجيدي؛ طوال عقود وف. يحكي عنها. ذات مرة استجبت لطلبه وقمنا برحلة للتجوال لمدة ثلاثة أيام في إقليم يورا، إذ إن ف. شعر بالاحتياج إلى العرض المستفيض لصراعاته. ما أراد البوح به - وهو ما صعب عليه حتى أنه لم يبدأ إلا في اليوم الثاني - أظهر لي مرة أخرى ثراء مشاعره، عمقه غير العادي، شعوره بالمسئولية تجاه الحبيبة وتجاه نفسه كذلك، شعور بالمسئولية غير مألوف على كل حال. أن يشركني ف. في أزماته المتنوعة اعتبرته وساما على صدري، حتى إذا لم يعرفني أبدا بها شخصيا. طبعا لم يكن لدي نصيحة. أيضا إحساسه بالأبوة كان فريدا. تعقدت علاقتنا عندما بدأت أكتب ثانية، ثم عندما نُشرت كتاباتي أو مُثلت على المسرح، بالرغم من معرفتي لرأيه فيها. نتيجة لذلك لم نعد نتقابل إلا نادرا، وإذا حدث فدون كلام عن كتاباتي. أخذت أيضا انهمك في قراءة ما لا يقرؤه ف.، لم أستطع إقناعه بشيء؛ اهتمامي ببعض الأدباء كان يجعله ينظر بعين الشك تجاههم، تجاه بريشت مثلا، أما إذا اتضح أننا معجبون بنفس الكاتب، ستريندبرج مثلا أو جيد، فإن ف. يفقد الرغبة في التحدث عنهم؛ لقد اكتشفهم لنفسه، واحتفظ بهم لنفسه. توقفي عن الهندسة المعمارية لم يجعلني في عينيه بالطبع كاتبا، وهكذا لم نتكلم، كما قلت، عن كتاباتي، بل قلّ حديثنا عن الأدب عموما. علاقة ف. بالأدب كانت مختلفة. أدركت أن ف. لا يستطيع قراءة كتبي. كانت له مقاييس أخرى لا ترقى إليها أعمالي. لقد حاول ف. مخلصا. ذات مرة شاهد عرضا لأحد مسرحياتي (**سور الصين**)، وكتب لي خطابا، لم تكن كتابته هينة عليه، لأن انطباعه - إذا استخدمنا تعبيرا

وديا - كان أكثر من متضارب. بعدها بسنوات عديدة - كما قيل لي بعد ذلك - شاهد عرض مسرحية أخرى (**بيدرمان ومشعلو الحرائق**). لم يتحدث بعدها عن أعمالي. كنا قد أصبحنا أثناء تلك السنوات رجالا. الأصعب من ذلك كان - كما أرجح - اتجاهي إلى السياسة. لم نتحدث عنها إلا في النادر. الصراعات الاجتماعية، التي كنت أعيي وجودها بمرور الوقت، رآها ف. داخل إطار أرحب؛ كان يصغي إلي، إلا أنه كان يرفع حديثنا إلى الأسئلة الفلسفية حيث لا أكون على مستوى الموضوع. أتذكر: أثناء الحرب العالمية التي أجبرتنا نحن كذلك على إظلام المدن، رأى ف. أنه من السخافة والعبث أن تُنفذ تلك الأوامر المملة في فيلا والديه أيضا المبنية على حافة المدينة؛ إذ إن أضواء فيلا وحيدة لن تعطي الطائرين الأجانب إشارة على وجود مدينة أطفأت أنوارها. ناهض هتلر، لكنه عبر كذلك عن ارتيابه نحو الديمقراطية التي تعطي لكل صوت نفس الوزن. بالطبع كان ف. مدللا بسبب بيئته، وهو بالذات ما جعله يعاني أيضا. أعجبه أنني - وقد كنت زميلا له في المدرسة وذا مستوى متوسط في الفصل - أكسب قوتي، مهما كان متواضعا. أعرف، شغلَه هذا كمشكلة شخصية له. كان بالطبع من السخافة أن يفكر في عدم استطاعته هو الآخر كسب قوته، ولكن الأمر كان يضايقه بين الحين والآخر. لو رضي ف. بقبول مهام - يُرغم غيره على قبولها لكسب قوتهم - لسهل عليه أن يكسب قوته. كان يعرف ذلك أيضا. لم يكن لدي على العموم الكثير مما أقوله لصديقي. أحيانا كنت أوجه له نقدا، وماذا كان يحدث: يستمع ف. إلي، لكن يتضح أن نقدي بلا وزن مقارنة مع النقد الذي يوجهه ف. إلى

نفسه. لا أثر للغرور لديه. على العكس. كان يعتبر نفسه مهزوما. وعرفت كيف جنبني النقد إلى حد كبير: ف. لم يستخدم المقاييس، التي لا يصل إليها إنسان واحد تقريبا، إلا مع نفسه وحسب، أما معي فلا. طبعا أصدر ف. أحكاما على الآخرين، بل وأحكاما أقسى مما ينطق به الآخرون، أحكاما عميقة، ولذلك معقدة؛ لكنه لم يبح بها، لا للآخرين، ولا لي. لا يريد تدمير أحد. حكمه على شخص يبقى سره الذي يحمله في بعض الأحيان بصعوبة. يشعر المرء بذلك. لابد أن جنون العظمة لدي عذبه كثيرا. كان عندئذ يقطب جبينه دون قصد، ويصمت. لم أكن أستطيع سوى مجرد تخمين حكمه، أما هو فكان يعتمد على أن الإنسان لا يخمن إلا بقدر ما يتحمل في تلك اللحظة. نهماً للتقدير من ناحيته - وهو الذي يصدر أحكاما أعمق وأصدق من الرأي العام - كنت بالطبع حساسا عندما يمتدحني ف. فجأة، مثلا لمهارتي في إشعال نار مدفأة إحدى الأكواخ الجبلية، أو عند تصليح دراجتي، أو بعد ذلك أثناء قيادة سيارتي الفيات، أو لدى إعداد وجبة بائيلا الأسبانية مع الكابوريا، أو ما شابه من أفعال. كان مدحا صادقا مخلصا؛ إذ إن ف. لا يستطيع أن يمدح غير صادق. ف. كان شاهدا على زواجي، أنا على زواجه. أيضا في السنوات التالية، عندما كنا نرتحل للتجوال ثانية، كان لدينا موضوعات عديدة للتحدث حولها لأيام، دون أن يجد ف. نفسه مرغما على التطرق إلى كتبي؛ خبرات ف. كانت ثرية، ليست مغامرات من النوع الخارجي، وإنما خبرة ذاتية فريدة لدرجة أن الحوادث التي يفسرها الآخرون على أنها مجرد سوء تصرف كانت تكتسب لديه وزنا خاصا - سواء كان ذلك انفجار ماسورة مياه، أو

وصوله متأخرا إلى أحد المزادات، أو سلوك مربية ابنته. لم يخل الأمر من مشقة، إلا أنني كنت أفهم المرة بعد الأخرى سبب إعجابي بـ ف. : قدرته على سرد الأشياء بكل أبعادها وتشابكها لدرجة أن المرء يشعر بعدها أن خبراته الذاتية شبه معدومة. لن أنسى طوال حياتي وصف ف. للأسابيع الأخيرة في حياة أبيه الشيخ. الفيلا، التي لم أزورها بعد ذلك، أصبحت في حكايته مليئة بالأشباح، أما استمرار ف. في السكنى هناك فهو اللعنة. تأملته من الجانب ونحن نسير ونسير وهو يتحدث؛ كأنه لينتس في الجبل. لم يقارن نفسه مع لينتس، ولا مع ستريندبرج، لا مع هولدرلين أو فان جوخ، ولا مع كلايست، لكن ف. - هذا الكيان التراجيدي - كان يشعر بقرابته لهم أكثر من أي إنسان آخر. ما زلت حتى اليوم أحفظ رقم تليفونه غيبا، مر على الأقل 15 عاما على آخر مرة أدرت فيها القرص لأطلبه. لم يحدث أبدا، أو نادرا، أن نسيت يوم ميلاد ف. بمناسبة عيد ميلاده الخمسين أرسلت له برقية من روما. لا أعرف على وجه الدقة متى بات أمره سيانا لدي. من المستبعد أن يكون قد خفي عليه أنني غدوت ثريا. ما هو موقفه؟ أحيانا كنت أسمع عن طريق صديق مشترك - رسام - أن مجموعته الفنية مثلا تلتهم ماله. هو أيضا - الرسام - لم ير أبدا تلك المجموعة الفنية؛ لابد أنها فريدة من نوعها. فيما بعد تذكرت أنني لم أر أبدا أية من رفيقاته، باستثناء الفتاة البرجوازية التي تزوجها وظل يكثر من ذكرها حتى بعد الطلاق. الأولى، أعرف، كانت ممرضة. عندما يتحدث ف. عن رفيقاته فدائما بجدية بالغة - حتى وإن تكتم على الاسم: إسبانية في برشلونة. كانت لديه شجاعة خوض الصراعات الكبيرة. ذات مرة

أظهرت عنادي عندما قالت لي والدته إنه يتألم كثيرا بسبب معاناة زوجته، وإنه لذلك لا يكاد يعمل؛ أبديت تعاطفي كذلك مع الزوجة المعانية. لا أقصد أن ف. كان أنانيا ليس إلا. لم يكن يضحي أكثر مننا فحسب؛ بل إن تضحيته كانت أكبر لأنه كان يضحي بنفسه. ذات مرة كان الموقف غريبا بيننا: مرت سنوات طويلة لم نتقابل، ثم قمنا - كالأيام الخوالي - برحلة للتجوال في منطقة جبال الألب الأمامية (جروسر أوبريش)، صعود الجبل كان أسهل بالنسبة لي، لأنني بأمر الأطباء ظللت لنصف عام لا أتناول الكحوليات وأتجول يوميا لمدة ساعة. أعترف أنني سعدت لأنه لم يتوجب عليه أن ينتظرني. تخلف عني. لم يبق الكثير حتى نصل إلى القمة، ولكن ف. فقد الرغبة في المواصلة. إذا رأيت علاقتنا على هذا النحو، أعرف، سيكون الأمر تبسيطا ساذجا. لم يكن في ذلك اليوم من آخر رحلة لنا في كامل لياقته. الفترة الأخيرة (التي قضيتها في المستشفى) كانت عصيبة بالنسبة له. ثم إننا لسنا رياضيين، وإنما كهلان في الخمسين. لم أجرؤ أبدا، كما قلت، على الحديث عن عملي؛ اشتباهه الصامت في أنني أتصيد النجاح والشهرة، أصبح اشتباهي أنا أيضا. أدين له بذلك. في الحقيقة لم أستطع الفرح بإنجازاتي إلا عندما أتناسى ف.، أي من وراء ظهره فقط؛ لم أشعر أبدا بالارتياح لإنجازاتي وهو يصوب ناحيتي نظراته الزرقاء. بالصمت - المشترك - كنت أشي بفحوى أعمالي. تقابلنا لآخر مرة عام 1959. المرأة، التي أحببتها آنذاك، درست الفلسفة، وكتبت رسالة الماجستير عن فيتجنشتاين، والدكتوراه عن هايديجر. لم يكن له أن يعلم ذلك وهو يراها لأول مرة؛ اسمها كان قد سمع به، لكنه لم يقرأ من أشعارها

شيئا. هي كذلك واجهت صعوبة في أن تكون على سجيتها أمام ف. تراكتاتوس لوجيكوس، الذي كان ف. يجهله، واجه صعوبة أيضا. صمتُ حتى لا أضايقهما باعتباري نصف عارف. أفكار فلسفية من امرأة تعيش معي - من الواضح أن ذلك لم يدخل رأسه. لم يشعر ف. في شقتنا بالراحة. بالرغم من الشمبانيا؛ كنت أعرف أنه يحب الشمبانيا. وهي كانت تعرف كم أنا مدين لهذا الرجل؛ طالما حكيت لها وباستفاضة عن صديقي، دون أن أستطيع وصفه. كان يجلس هناك، ضخم الجسم، وقد أصبح ثقيل الوزن كذلك. لم ينشب نزاع بين الفلاسفة، ولكن ف. اتكأ على مقعده؛ وبدا لي على نحو لم أره من قبل: رجلا! لا أقصد أنه، مثل غيره، أخذ يتودد إلى تلك المرأة التي جلست مضطربة بعض الشيء؛ كلا، ف. أخذ يعاينها فحسب وهي تحاول أن تتحدث. كنا قد احتسينا أول كأس، أي أن الخمر لم تكن السبب. لم يمسك أحد بزمام الحديث. ولأن المرأة كانت تدعي أنها شاعرة - ليس في هذه الساعة ولكن عن طريق كتبها - فقد أحب ف. أن يفصح عن آرائه في الشعر، ليس بنبرة متسائلة بل واثقة على الرغم أنه، كما قال، لم يعد يجد وقتا للقراءة لانشغاله في وضع كتالوج لمجموعته الفنية. بالتأكيد كان يرى في هولدرلين شاعرا أعظم من هانز كاروسا، ولكنه ظل على كل حال يعتبر هانز كاروسا شاعرا. المرأة، التي لم تعبر عن رأيها، سألته عن مجموعة لوحاته، وعن سبب عدم عرضها، كلا، ولا حتى لها. لم يمزح عندما قال إن من حقه تدمير تحفا من الصين القديمة، وكذا أعمال فناني القرون الوسطى العظام أو الرسامين الأحياء، لأنه لم يقتنها بالمال فحسب بل أضحت الآن، باختياره لها وانشغاله بها سنوات

طويلة، جزءا من جسده - شعر أن لا أحد يفهمه. رغم ذلك فقد أعجبته هذه المرأة، كما عرفت فيما بعد، على نحو ما. من شخص ثالث سمعت أن ف. أبدى تعجبه لعثور فريش على رفيقة كهذه. لم أرد أبدا المبلغ الذي مكنني آنذاك من الدراسة؛ أعتقد أن ذلك كان لابد سيجرحه، سيلغي كرمه. عندما تعرفت مؤخرا على ف. في زيرويخ تأثرت بشدة: الوعي بالعرفان بالجميل، لا مشاعر. لم أكتب له أنني تعرفت عليه في الشارع. اليوم لم يعد حتى يهمني رأي ف. في حكايتنا الطويلة. وهذا هو ما يؤثر في على وجه الخصوص. صداقتي مع ف. كانت، كما أرى الآن، وبالا علي. ليس لـ ف. ذنب في ذلك. لو كنت أقل خضوعا له، لأثمرت الصداقة أكثر - أيضا بالنسبة له.

OVERLOOK:

وعَدَت اللافتة بما ليس له وجود هنا. من فوق ربوة رأيا على البعد سيارة زرقاء؛ ليست سيارتها أو سيارته. NATIONAL CAR RENTAL، مازالت السيارة الزرقاء هناك وحيدة في الموقف المشمس. خطر على باله أنه لا أحد يعرف أين هو اليوم. أمر يسره. حتى لا يقفا بين أدغال الشجيرات حيث لا يراهما أحد يواصلان السير بالرغم من تخليهما عن الاعتقاد بأن هذا المدق سيصل بهما إلى الساحل. عمود برق يطل برأسه عليهما الآن مشيرا إلى بُعد الساحل؛ US MILITARY AREA، قرأ ذلك على الخريطة؛ لا يمكن الوصول من هنا إلى البحر. لقد أخطئنا الطريق. ليس ذلك مهما؛ إنهما معا - دون هدف، معا. لكي لا يفترشا

الأرض يواصلان السير. سبق له رؤية مناظر طبيعية أكثر روعة، مع ذلك يحاول التقاط الصور بالكاميرا (ميكروفليكس 200). في عدسة الكاميرا المقربة: صخرة عليها شجيرات، وأخرى صلعاء، سماء، على البعد منارة غليظة، زووم، لكنه لا يسفر عن شيء ذي بال: المنارة أكثر غلظة. لا يستحق المنظر أن أضغط على زر الكاميرا. يقترب الظُهر، خسارة أننا لسنا على البحر الآن؛ إنه السبت. انحنى ليربط حذاءه الأيسر، تسير متمهلة وتنتظر. مَن ير الاثنين لا يعرف على وجه التحديد أي علاقة تربطهما: ابنة مع أبيها، أم عاشقان؟ لا يتبادلان القبل؛ للحظة - عندما وصلا إلى طريق أعرض - سارا يدا بيد، لكن هذا الطرق لا يقودهما إلى الاتجاه الصحيح، لذا يتركانه ثانية. يبدو أن الطريق يؤدي إلى مزرعة إذ يريان حصانا يرعى. على البعد سيارة منطلقة على «الهاي واي»: دون ضجيج. يسمعان طيورا، ليس شدوا، وإنما زقزقة منبهة. مرة أخرى يخطر على باله أنه لا أحد (لا في نيويورك ولا في برلين) يستطيع أن يخمن أين هو في هذه الساعة. لا يمكن الوصول إليهما. في ذلك يشتركان. بين الحين والآخر يقولان شيئا: Look at this ، حتى يؤكدا لأنفسهما أنهما هنا وليسا في مكان آخر. وربما لا يريد أن يبحث عنهما أحد اليوم. حالفهما الحظ بالنسبة للطقس إذ كان مطيرا لغاية الأمس. أثناء قفزها فوق حفرة راكدة المياه انحلت عقدة شعرها؛ شعرها الأحمر (في لون الكركديه، ولكن أفتح) ينساب الآن طليقا فوق ظهرها. تبقى واقفة لعقده ثانية، تقول: I am getting hungry، ولأنهما مازالا واقفين فلابد أن يقول شيئا. Do you know Donald Barthelme?، يسألها، His work? لا تقرأ كثيرا. He is a good

friend of ours، يقول ذلك حتى لا يظهر بصورة الخبير بالأدب الأميركي. في تلك الأثناء كانت قد عقدت شعرها. سار في المقدمة، لأنه وعدها قبل ساعة أن يجد موقف السيارات. دون مدق. علبة كوكاكولا صفيحية فوق العشب: إذن ليسا أول من يمر هنا. ثم تنفك العقدة مرة أخرى، لا تعقد شعرها من جديد وتتركه الآن محلولا. أن يتصل أحد بـ «لين» يبدو أقل احتمالا من أن يتصل به أحد؛ صحيح أنها قالت في المكتب - حتى تنصرف مبكرة - إلى أين سوف تسافر مع أصدقائها، ولكن لو اتصل أحد بكل فنادق الجزيرة الطويلة فلن يجد حتى اسمها الأول مسجلا - فقط اسمه، ولا أحد يخمن أنهما معا.

Max, you are a liar

لا تتم كل الأمور في هذا اليوم كما يبغي. صحيح أنه وجد موقف السيارات (فقط في الأحلام يحدث أنني لا أستطيع أن أجد السيارة ثانية)، والسيارة الفورد الزرقاء في مكانها، مازالت هي السيارة الوحيدة. المفتاح معها، لين تقود السيارة. سيكفيها سندوتش هامبورغر أو بيتسا. في الخارج، حيث يصل الشارع عند المنار إلى نهايته يكتشفا أن المطعم لم يفتح أبوابه بعد، فقط التواليت يمكن استخدامه. ينتظر على الشرفة. راية عليها نجوم تتلاعب بها الريح؛ منظار مكبر يعمل بالعملة المعدنية لا يستخدمه. الرياح قوية هنا. عندما تغيب لين لبرهة وأثناء انتظاره يتشوق لرؤيتها ثانية، دون نفاد صبر. هنا يطل المرء على البحر، لكنه يحاول أن يتذكر صوتها. لأنه يعرف صوتها فإنها لا تقول له عندما تتصل به تليفونيا إلا:

«هاي»! بشرتها (يعرف ذلك): البشرة الشاحبة لامرأة حمراء الشعر؛ بلا نمش. استند إلى السور، ظهره للبحر؛ سوف تجيء من خلال هذه الشرفة المقفرة، وهو متهيئ للمفاجأة، إنها - سيان كيف تبدو - ستقترب ناحيته ويشعر ببساطة بوجودها. الوقت الآن ظهرا؛ كل شيء في الخارج: راية عليها نجوم تتلاعب بها الريح، منارة غليظة، نوارس، موسيقى من اتجاه ما صادرة عن ترانسزتور، الصفيح اللامع على موقف السيارات البعيد، الشمس، الريح -

لين سوف تبلغ الحادية والثلاثين.

قبل عدة أسابيع زرت ابنتي، الكبيرة، بعد أن أصبحت جدا. زيارة قد حان وقتها، فالحفيدة تتكلم الآن. أيضا رأيت زوج الابنة الألماني للمرة الأولى. تقابلا في اسكتلندا، ثم أخبرتني عندئذ على كارت سياحي (ربوة خضراء) أنهما سيتزوجان. المقابلة: ليست سهلة ولا صعبة. الابنة - ولدت في نفس العام الذي ولدت فيه لين - أخذت أثناء الحديث تشتغل بالإبرة في تريكو من صوف غنم غير معالج كيميائيا. قبل ذلك كنا قد تمشينا معا، الأب والابنة، الحديث بالدارجة. قبل سنوات كتبت لي وكلها ثقة في رأيي عن أزمتها الصعبة، وقمت بالرد عليها. زارتني كذلك مع صديقها السابق الذي أعجبني جدا . . . إنه أول أبناء خطيبتي الأولى التي لم أتزوجها، وهي ابنتي البكر؛ لعلهما لم يتزوجا لذلك . . . يقولان إن أحوالهما طيبة. لم يكن واضحا لماذا فتر حديثنا الآن. كانت قد اشترت زجاجة نبيذ أحمر ألماني؛ كلاهما لا يشربان النبيذ، وهكذا تركت نصف الزجاجة. بقيت عندهم عصرا وليلة وضحى. لم يتضح لي

الأمر إلا في القطار المتجه إلى هامبورغ عندما أردت أن أقرأ. لا أنكر ذنبي الذي لا يمكن محوه بخطابات مطولة تشرح للابنة البالغة طلاقي آنذاك. إننا بحاجة إليه، إلى ذنبنا، فهو يبرر الكثير في حياة الآخرين.

MONTAUK

انهما يجلسان الآن فوق الحجارة - ليسا وحدهما: هناك متنزهون يبحثون عن المحار عند اقتراب الأمواج من الشاطئ؛ وثلاثة شبان سود - معهم ترانسزتور يعلو صوته ثم ينخفض من جديد - مروا عليهم دون أن يلتفتوا إلى الثنائي.

dirty old man

لا يشعر في الواقع أنه كذلك.

How do you call those birds?

إنه يسأل فقط حتى يوجها النظر إلى الأفق الرحب (إنها نوارس عادية)، وحتى ينسى نفسه: رجل ثقيل جدا، مع أنه ليّن الحركة، يرتدي قميصا من الجينز، ليس لأنه يعتقد أنه سيجعله شابا، وإنما لأنه عملي، ما بقي من شعره يبدو دائما مشعثا، حتى عندما تسكن رياح البحر؛ ليس أنيقا، الشعر يتدرج من الرمادي حتى الأبيض ... خطر بباله متى سبح آخر مرة في البحر.

SABLES D'OR ، يوليو 1973

نقرر الانفصال.

الساحل، هنا، تغمره الأحجار، لا شاطئ: الأمواج متوسطة؛ لا تهدر، تترجرج بين الأحجار المستديرة، ثم تلف تاركة فقاعات من الزبد. بركة بها طين. لسنا هنا على الأطلنطي المفتوح، الذي بحثت عنه، وإنما على خليج، رغم أن اليابسة لا تُرى.

What are we going to do?

الحاجة إلى العمل.

ماذا تقول الدلافين؟

أعجبني عنوان الكتاب، وتوقف الأمر عند هذا الحد. وجدته مؤخرا في كراسة قديمة ذات سلك لولبي، كنت قد وضعتها في الشنطة لأنها تحوي عناوين الأصدقاء؛ كتبت ملاحظة: رواية توحي بالتفاؤل الحذر - ليس بها أحداث؛ الشخصية الرئيسية، الإنسان الجديد، لا يظهر. تتمتع الدلافين على الأقل بذكاء مساو للبشر، ولكن ليس لها أياد أو أرجل، لذا لم تقم أبدا بغزو العالم، تقول لين، لأن ليس لها أياد وإنما زعانف؛ لذا لا تدمر العالم. مثلا، الدلافين لم تؤسس أبدا دولة، وتعطي دوما (وهو ما لابد من الاعتراف به) انطباعا بالمرح. لين تتكلم مع الدلافين، هي لا تريد طفلا على الأرض -

عام 1972 لم أكن أعرف لين.

مازال مأخوذا من المفاجأة لأنه يعرف جسدها هذا. لم يتوقع ذلك. لو لم تعط لين بين الحين والآخر إشارة تظهر أنها أيضا

مازالت تتذكر الليلة، لما جرؤت يداه على لمس رأسها.

عام 1972 كان العالم يشغلني.

ALL POWER TO THE PEOPLE

الشعارات التي كُتبت على السور آنذاك أصبحت باهتة، يسود لدى المرء انطباع بأنه لم يعد من المنتظر أي تغيير. عندما يصعد المرء نفق المترو ويواجه ضوء النهار يلاحظ أن الناس كما كانت منذ سنتين - الأمور تواصل ببساطة سيرها: الانتظار عند الأحمر، السير عند الأخضر. لا أحد يعرف ماذا يحدث. الصحف تدعي المعرفة يوما بيوم. ووترجيت - لو لم تحدث تلك الفضيحة. أصدقائي أكثر شبابا، لكنهم يعرفون كذلك عجزهم. النساء فقط مازلن يأملن التغيير. الباقي يسترخي. الميدان الأحمر في موسكو لم يُمس؛ كل شيء في محطة «فريدريش شتراسه» في برلين كما كان عليه، فقط ارتفع ثمن التذكرة إلى عشرة ماركات. لم يكلف التسلح من أجل شن حرب في التاريخ مثلما يكلف التسلح المتزايد الآن، من أجل تجنب قيام حرب لم تعد قوانا العظمي قادرة على تحمل تكاليفها؛ لا أحد يشك في إرادتهم للتوصل إلى سلام حتى الإفلاس. السفر؟ لم تعد الظروف تشجع على ذلك؛ في كل مكان نفس التفاؤل الحذر. لا فوضى. مازال كل شيء موجودا، وإلا لن يكون باستطاعة التلفزيون عرض ذلك: رجال الدولة وهم يهبطون من الطائرة ملوحين، الدبابات في الصحراء، قوات حرس البابا السويسرية، وفاة أحد رجال الدولة، استقالة آخر، مازالوا يحكمون. بترول الشيوخ

والشركات العملاقة هو عزاؤنا المؤقت، العلم يبحث عن مصادر أخرى. فيما عدا ذلك لا يحدث شيء لم يحدث من قبل. حماية البيئة كآخر واجبات الجنس البشري.

8/ 4 نيويورك

17/ 4 تورنتو

18/ 4 مونتريال

19/ 4 بوسطن

22/ 4 سينسيناتي

23/ 4 شيكاغو

25/ 4 واشنطن

ألعب دوري. فقط في الطائرة وفي الفندق، حيث يحجز لي المنظمون، أخلو لنفسي برهة، ولا أكون بحاجة إلى تصديق أي شيء، آخذ دشا أو حماما، ثم أقف عند الشباك، وألقي نظرة على مدينة أخرى. في كل مرة أتوتر قليلا قبل مواجهة الجمهور. أثناء القراءة أنسى بعد كل كلمة ما أقرأه. بعدها بوفيه بارد؛ لا أجيب دوما على نفس الأسئلة بنفس الإجابات. لا تقنعني أية إجابة. أثناء حديث سيدة معي أحدق في أسنانها القريبة الجيدة، يناولونني كأسا وأعرق. ليست هذه مهنتي، أفكر، ولكن ها هنا أقف[2] -

---

(2) إشارة إلى جملة المصلح الديني مارتين لوتر الشهيرة: أقف هنا (للاعتراض على صكوك الغفران)، لا أستطيع سوى ذلك.

How do you feel about renown?

لم يكن يعرف هذه الكلمة عندما وجهت لين السؤال – كان ذلك في ركن الطبخ بشقتها، أثناء إعدادها الطعام لأول مرة للغريب. قاموس لانغنشايت الصغير ليس في متناول يده؛ لين تشرح معنى الكلمة. عندما فهم السؤال كان قد استعد لفتح علبة محفوظة، إذا وجد فتاحة. لين تبحث. الفوضى التامة تعم أدراجها، ولكنهما يعثران على الفتاحة؛ فقط سؤالها هو الذي ضاع، يتحدثان الآن عن السعرات الحرارية . . . كنت أريد أن أصبح مشهورا: حارس مرمى في دوري الأندية. لم يتبدل الاهتمام فحسب، وإنما سيطر علي الاهتمام بأن أفعل شيئا. عندما سألني الروائي أوفه يونسون أثناء احتسائنا بيرة ليلية في سبوليتو (1962) بطريقة مباشرة: أستاذ فريش، ماذا تفعل بالشهرة؟ فقد كنت مدينا بتقديم إجابة. هل يريد اختبار جنون العظمة لدي؟ بالطبع يسرني أن مسرحياتي تُمثل، وأن عدد قراء كتبي في ازدياد. لا تغيب عني النتيجة، أي كوني أصبحت كاتبا معروفا. في غابة بالقرب من زيورخ يمر علينا رجل وامرأة، ألاحظ أنهما يقطعان حديثهما فجأة؛ بعد عشرين خطوة تنظر هي للخلف، ثم هو. في الساونا العامة يكون الأمر أكثر إزعاجا؛ العاري الذي تجرأ أخيرا وسألني أمام الدش: هل أنت السيد فريتش؟ فمن الواضح أنه ليس من قرائي، لكنه يعلم أنني شخصية معروفة؛ إذ إن التليفزيون كان قد عرض أين وكيف أسكن. عريانان كما كنا، لم يكن لدينا قلم لأكتب له اسمي بطريقة صحيحة. أحيانا تكون للشهرة مزايا: بعد أن اطلع موظف جوازات ألماني على جواز سفري أصر على عدم النظر في حقيبتي، بل ومساعدتي؛ لا يعرف الاسم

فحسب، وإنما يتذكر جيدا مسرحية أعجبته: **زيارة السيدة العجوز.** الشيء ذاته يحدث لي دون أي خلط أيضا[3]، مؤخرا في لندن على سبيل المثال: Sir, it is a great honor for me، يقول لي موظف جوازات شاب، ويتمهل - رغم الزحام - ويذكر لي ثلاثة عناوين بالانجليزية، وأيضا أي الأعمال أعجبه على وجه الخصوص. عندما أحيي سيدة في مطعم، وأبحث عن مشجب لتعليق معطفها، فإنني لا أفكر بالطبع أنني مراقب؛ تقول: دعنا نذهب إلى مكان آخر، إنهم هنا يصغون إليك! فترة طويلة لم أكن بحاجة إلى التصنع، كلا، أنا فعلا أصم عندما يتهامسون حولي باسمي. بالطبع أعرف أن لدي قراء منذ بضعة سنوات، بل ورأيتهم في الصالات أيضا؛ لكنني لا أتوقع أن يركبوا نفس الباص. أنا لا أشعر أنني شخصية عامة عندما انتظر على رصيف محطة قطار، ولا أحتاج إلى إجهاد نفسي حتى أبدو متواضعا جدا؛ الأمر يشغلني بطريقة أخرى تماما. من ابنتي أعرف إلى أي مدى وصلت شهرتي. الأمر يضايقها: ما تكاد تذكر أثناء الرقص اسمها كاملا حتى تتعثر الدردشة، بسبب اسمي أنا. شيء لا أستطيع تغييره. بالمناسبة، لم أصبح معروفا بخبطة واحدة. لا أعلم أيهما أفضل: من يستقيظ ذات صباح ويجد نفسه معروفا، ويرى ذلك من الآن فصاعدا أمرا بديهيا لاغير، ولا يتعجب كل مرة مثل

---

(3) وسبب الخلط هنا أن المسرحية *(Der Besuch der alten Dame)*، ليست من تأليف فريش، وإنما من تأليف فريدريش دورينمات Friedrich Dürrenmatt (1921 - 1990)، الذي يُعد من أهم كتاب المسرح المعاصرين في سويسرا. وقد تُرجمت العديد من مسرحياته إلى اللغة العربية، ومن أشهرها إلى جانب المذكورة: «هبط الملاك في بابل»، «علماء الطبيعة» و«الشهاب».

الآخر؛ الآخر يزداد تدللا من مرة إلى أخرى. أفزع قليلا عندما يخاطبني فجأة شخص لا أعرفه، ثم يتبن أنه أحد قرائي. ماذا يفعل المرء؟ ينظرون غالبا بعين التقدير لأعمال لا أود أن أكتب مثيلا لها اليوم، وأشعر وكأنني خائن؛ عندئذ أتصرف وكأنني في عجلة من أمري. بالطبع يحدث أيضا أن يضايقني مخمور في أحد البارات، أو على الأقل يحاول ذلك معتقدا أنني مولع بذاتي. في هذه الحالة لا أستطيع أن أدفع الحساب فورا وأنهض؛ في هذه الحالة لا أستطيع فعل أي شيء - لا حديث ولا خلافه. ليست طريقتي في التفكير هي ما تثير الرجل على هذا النحو المرير، وإنما هو النجاح؛ هو في الغالب من بني وطني. ثم أنسى من جديد أن صوري في كل مكان كالمجرمين. غالبية من يتعرفون علي يتصرفون بتحفظ؛ يتركونني أشرب بيرتي في هدوء، إلى أن أفاجأ بشخص ثالث يقول لي أين كنت أشرب بيرة قبل الأمس. لا أريد أن أبالغ، الأمر يختلف من منطقة إلى أخرى؛ في كل الأحياء التي يسكن العمال بها، أعرف أنني في أمان، دون أن يسبب ذلك بهجة خاصة لي. من هم قرائي؟ عندما يسألني العامل الذي يكسو الحائط بالورق: هل أنت هو الكاتب؟ فإنني أرى كيف تسره إجابتي بنعم. لماذا؟ الاحتياج إلى إبداء الاحترام والتقدير؛ قرأ الرجل الاسم ولا يشك في أن شخصا يستحق أن يكون له اسم مشهور، ويرحب بي لأن الستار ينزاح عن مسرحية لي في برلين، ثم يجيد عمله بشكل خاص. يدللون المرء. الوقوف في طابور أمام الشباك أمر يصيبني بالملل مثل كل الناس، أصبر ككل الناس - ولكن تحت الرقابة. أيضا هذا أمر يعتاده المرء. نتيجة أخرى: عندما أتحدث مع أناس لأول مرة فإنهم يتجنبون

الكلام عن خططهم، ولكنهم يتحدثون عن مؤلفاتي المنشورة، أما عندما يلاحظون أنني لا أنتظر هذا، بل لا أنتظر هذا بالذات، فإنهم يصغون فحسب؛ أجلس في عزلة ليس من السهل دائما كسرها، عزلة خطيرة تغري بالتحدث من طرف واحد؛ يصبح من الممل الذهاب إلى الحفلات. رجل يظهر بين الحين والآخر، يبدو للوهلة الأولى مثقفا: لمدة ساعتين وهو يتصرف كأننا لم نتعارف، ولا ينطق حتى قبل البوفيه البارد بكلمة واحدة؛ بعد ذلك من الممكن - أثناء محاولتي جاهدا الاشتراك في حديث - أن يُصغي إلي من مسافة تُعفيه من إبداء أي رأي؛ في تلك الأثناء أكون قد نسيت اسمه بالفعل، وبهذا تبدأ علاقتنا بأن أعتذر؛ لا يجعله ذلك يقترب طالما أن الآخرين مازالوا مشتركين في الحديث؛ بعد ذلك في المساء لن أستطيع التخلص منه، نقف الآن في أحد الأركان حيث يُظهر لي بعناد أن الاشتهار (هكذا يسميه) لا يترك أي أثر لديه. إنسان ذكي. مدة طويلة ولا يريد أن يقول لي ماذا يعمل. في النهاية يقدم اعتذاره. من أجل ماذا؟ ليس من المحتم أن نتفق. عندما أرجوه أن يرسل لي مقاله، فإنه يعتبر هذا المقال - الذي سوف ينشر قريبا - متقادما، ويفضل أن لا أقرأ ماذا كتب عني. من الواضح أنه يرجح أنه سوف يضايقني فحسب. لماذا لا يقنعني؟ النجاح لمدة طويلة يسهّل على المرء ألا يكون مختالا. هذا هو الجانب المضيء. شيء آخر: لست من هؤلاء الذين تحميهم أسطورة. أحيانا أشعر بذلك أثناء المصافحة: التصفيق، الذي لا أعرفه، يربك الناس الذين أُقدم لهم. في العادة أنا لا أتحرى عما قالوه، وعندما يتناهى كلامهم إلى سمعي فإنني أعرف عن الآخرين أكثر مما أعرف عن نفسي. الحسد؟

ليس أول نجاح، ولا الثاني، ولكن النجاح الدائم يسبب الغيظ، خاصة لمَن يعبد النجاح؛ يتخيلون أن المرء ليس له أي احتياج أو هدف آخر سوى مضايقتهم بالنجاحات (أيا كان فهمهم للنجاح)؛ مع مرور الوقت يبلغ توترهم درجةً لا يهدأون معها حتى إذا فشلت. هناك أيضا معجبون. منهم شيخ في برلين؛ أعرف ذلك عن طريق زوجته التي تجبره على أن يعرف نفسه أمامي. وجه تلميذة في الشارع؛ أرى أنني جزء من المقرر التعليمي، تنظر لي وكأنني لا أستطيع رؤية إعجابها الصارخ. وهناك أيضا مجاملون؛ بعضهم لا يستهدف أي شيء من وراء ذلك. وهناك أيضا الأعيان الذين يرغبون لسبب ما في أن أستمتع بالمائدة العامرة، وقريناتهم. شيء آخر: مواطن سوفيتي - شاب صغير كان قد تظاهر عام 1968 في الميدان الأحمر وقابلته حديثا بالصدفة في إحدى الحفلات - يهديني تحيات أحد معسكرات العمل في سيبيريا، شكرا باسم النزلاء الذين لن أراهم أبدا؛ هذه التحية غير المتوقعة تؤثر في كأنها تحذير، تكليف بألا أسمح لنفسي بالسقوط. الشهرة؟ على عكس النجاح فإنها لا تثير حسد أي إنسان. لا تسبب تملقا؛ حتى لو سمح الشخص بذلك لارتباكه، فإن الشهرة لا تسمح بالتملق. أفكر في مقابلاتي مع بيكت: من السهل التحدث معه أو الصمت أثناء لعب الشطرنج، أعماله تبدو بعيدة عنه، وفي الوقت ذاته هو وأعماله واحد. كذلك لا يحدث أن يشعر الآخر بأنه يُتملق؛ ليس الجالس هنا نجما، ولا شخصا يتكلف التواضع محاولا إخفاء ذاته وهو ما يفضح أنه يرى نفسه نجما. ينطبق هذا على الشهرة الصغيرة كذلك. لا ينتظر الناس أن يلهث المشهور وراء أن يكون مفهوما، ناهيك وراء المديح، وإذا

انتظروا ذلك فسرعان ما يتبينون أنهم على خطأ. بالمناسبة، كشخص قد يُخيّب المشهورُ الآمالَ، على سبيل المثال لتعاسته. إذا ما لاح أنَه قد تراجع عما ورد في بعض أو كل أعماله، فالأمر يخصه وحده؛ تقييمه لنفسه ليس ملزما للآخرين؛ ينفصل الاسم - الذي حصل عليه عند ميلاده واستخدمه في التوقيع طيلة حياته - عن الشخص، ويغدو صفة لشخصية عامة مؤثرة. لا بد أن يتعلم ذلك: أما إذا لم يتعلمه فإنه لن يكف عن جرح نفسه. الشهرة لا تسبب توقف النقد، فقط يُتوقع - عن حق - ألا يؤخذ النقد بطريقة ذاتية، لأنه لن يكون نقدا للشخص ولعمله، وإنما نقدا للشهرة. المجتمع في حاجة إلى المشاهير؛ من هم الذين يختارهم لذلك؟ النقد يصبح نقدا للمجتمع.

لين:

صوتها، عندما لا يسمعه أكثر حضورا من وجهها عندما لا يراه. لا تمد حروف العلة على الطريقة الأمريكية فحسب، بل وتنطقها بصوت رفيع أيضا. اسمه، منطوقا بصوتها، يقع على الأذن خفيفا، حرف الـ X الأخير يجيء قصيرا مثل في كلمة إكسليفون. صوتها لا يلوك الحروف. ليس صوتا عاطفيا. كنغمات أوتار مشدودة تماما، ثم الصدى الذي يمنحها جسدا. يحدث أن يكفيه صوتها في اللحظة الراهنة.

ملاحظات في الطائرة:

الأمر يستحق أن يسافر المرء مرة بالدرجة الأولى؛ بجانبي

مسافر شاب، يتاجر - كما اتضح عند ارتشاف الشمبانيا - في القنابل. / الإنسان الصادق هو من يرتبك قليلا عندما يقولون له إنه صادق. / في هارفارد أستاذة أمريكية في الأدب الألماني تكتب عن إنغبورج باخمان[4]، أعمالها وشخصها؛ تشكرني بشدة للمساعدة التي تقدمت بها: ذكر العناوين في روما. / في سينسيناتي يُلقى السؤال: ماذا يفعل الكاتب عندما يُواجه بأعماله المبكرة؟ لا أعرف بماذا أجبت - كان يجب أن أحكي عن الرسام الذي قال بحضور زوجته: ملعون أبو هذه التخاريف القديمة! ثم بعد ذلك، عندما أرادوا إقامة معرض لأهم أعماله، قالت الزوجة حتى تختصر له طول التفكير: دعك من تلك التخاريف القديمة! دون أن تلاحظ أنه لا يحق لها استخدام ذلك الوصف الذي أطلقه هو؛ فهي لم ترسم شيئا. / عندما يقول المرء للأمريكيين: I am a socialist ، فإنه لا يفقد احترامهم، على العكس فإنهم مقتنعون أن الذي يستطيع تحمل تكاليف ذلك لا بد أن يكون نجما. / من الطائرة أنظر إلى الخارج: لا أصدق أن يُفقد المرء في مكان ما من هذه الأرض الواسعة بكل أحيائها السكنية ومدنها. يولد هذا الاعتقاد نوعا من النشوة الهادئة. الذي يعتقد هذا يُصاب بالحزن العميق إذا وقف في هذه المدينة أو تلك. / إنه يشعر بالإهانة! هذا أسوأ من أن نقول: إنه خسيس. فالأخيرة نقولها دون استخفاف. / مشاعر الذنب، دون أن أعرف ما هو الذنب. / مرتين، في مونتريال وفي شيكاغو، يُلقى السؤال في

---

(4) عن علاقة الحب التراجيدية التي ربطت بين الكاتب وبين الشاعرة إنغبورج باخمان Ingeborg Bachmann (1926 - 1973) تدور فقرات طويلة من هذه القصة.

ندوة عامة: أستاذ فريش، هل صحيح أنك تكره النساء؟ / العلاقة بين العمر والجهل: أي منحنى بياني سوف ينتج؟ بالرغم من تزايد المعرفة، يتسارع المنحنى مع العمر: الجهل يمسي بلا حدود. / هل رأيت كلبين يتحدثان عن كلب ثالث عندما يلتقيان، لأنهما لا يستطيعان فعل شيء آخر؟ / كحكاية شعبية عن صياد يجمع شباكه ويجذب بكل قوة، إلى أن تبلغ الشبكة اليابسة، وهو داخلها، هو وحده. يتضور جوعا. / علاقتها الكاثوليكية بالحقيقة. / الخوف من أجل الذاكرة: مثل أن يحاول المرء الكتابة بالطباشير فوق زجاج، لا يتقبل الزجاج سوى آثار من الكتابة، ويحفظها غير مقروءة. أتذكر تماما أين ولمن قلت ذلك. خرجنا إلى مرسى قوارب طويل. أثناء حديثه أفهم كل شيء. وقفنا عند وصولنا نهاية المرسى. لو واصل سيره وسقط في الماء الراكد لكنت تبعته، ولغرقت الآن؛ لم أعد أعرف كيف شرح الأمر. / عنين (لأول مرة) في الخامسة والثلاثين-

ARENA STAGE

نشوة عارمة لدى رؤية خشبة المسرح الخالية قبل الظهر في واشنطن. مثلوا هنا قبل عام أوبريت الدوق الذي عمل بالفأس؛ الممثلات والممثلون قدموا أنفسهم بأسماء أدوارهم: كوكو، إلزا، ماريو، أو قائلين: I am the widow, I am the murder . أرى في المساء قدراتهم التمثيلية أثناء عرض: Leonce and Lena . يجتاحني الحماس، حماس مخلص، وهو ما أخبرهم به في غرفة تغيير الملابس، وهكذا استحق القبلات التي انطبعت على خدي. كان لا بد أن أعدهم أن أكتب مسرحية وأحضر إلى واشنطن لعرضها معهم

على هذا المسرح. أعدهم بذلك. ولكن أي مسرحية؟ مسرحية جديدة، أعني: مسرحية من نوع آخر، مسرحية مرحة، خليعة، ليست بالضرورة مضحكة، ولكن دون هدف تعليمي. دون أمل سوى التمثيل نفسه. لا أعد نفسي بهذا، بل أعد الممثلة التي لعبت اليوم دور روزيتا؛ لا بد أن يقف شخص هناك، جسد، حتى أصدق الوعد. على فكرة، هكذا بدأت أشعر بالحاجة إلى كتابة المسرحيات: أرى أجسادا تستطيع التمثيل، وأرغب أن يمثلوني، أن تكتسي كلماتي جسدا، أجسادا عديدة، لذكور وإناث.

لين

نزع ببساطة نظارتها كي ينظر إلى عينيها. ضحكت على إنجليزيته. فعل ذلك دون أن يلمس صدغيها، كالنظارتي الذي يقوم بخدمة زبونة. تقف في ركن الطبخ في شقتها، في كلتا يديها مواعين، لا حول لها ولا قوة في هذه اللحظة. لون عينيها: كحجر الإردواز الفاتح تحت الماء. يرى أن النظارة لا تناسبها على الإطلاق، وهي ترى أنه يظلمها. تقول: Because I need glasses. إذن يعيد إليها النظارة. تقول: Why don't you have a seat. شقة جميلة. But very small، ترد عليه. ومع ذلك يروح ويجيء ويداه في جيب بنطلونه: like a prisoner، تقول له، or like an animal. قامت بدعوته لأنه دفع مؤخرا غداء العمل ذلك، ولأنه، هكذا ترجح لين، لا يأكل منذ ثلاثة أسابيع إلا في المطاعم. فكرة لطيفة؛ نالت تقديره بحق، ويجلس كأنه ضيف. لين تطبخ ببطء وتعقيد، ولا تستطيع الحديث أثناء ذلك. يمكنه أن يساعدها: تقطيع الطماطم إلى

حلقات. يستطيع ذلك، دون أن يتسخ المكتب الصغير؛ يستطيع أيضا أن يتحدث في تلك الأثناء، ولكن لا يخطر على باله أشياء كثيرة يحكيها سوى أن البحيرات في كندا مازالت متجمدة، تلك البحيرات العديدة المتناثرة مثل أوراق بيضاء، قطع ممزقة كأنما انتزع أحد ورقة من الآلة الكاتبة ومزقها. ينتهي من ذلك أيضا، ثمرتا الطماطم قُطعتا إلى حلقات. اليوم الأحد، أول المساء، لم يُقبل الظلام بعد، وهو يعاود الوقوف بينما يسمع الطشطشة في المقلاة. يتفرج على كتبها. يعرف أنه ممل. لقد ثرثر في الأيام الأخيرة عن الأدب بما فيه الكفاية. تسأله: هل يطبخ أيضا؟ لين لا تملك كتبا كثيرة، وهو ما يخفف عنه. ليس لديه احتياج إلى الأحاديث الأدبية التي تدور في الغالب حول استعراض المعلومات وإطلاق الأحكام النقدية بلا حساب؛ ولا يحتاج إلى أي أحاديث أخرى. اشترت لين زجاجة نبيذ، يستطيع هو، باعتباره الضيف الرجل، أن ينزع سدادتها (سوترنيه). شيء يعمله، يبهجه ذلك. تسأل: هل هو جائع؟ شعرها، حتى تلك اللحظة طليقا وطويلا، يضايقها عندما تنحني لإحضار القشدة من الثلاجة؛ لين تجد نفسها مجبرة على عقد شعرها ثانية قبل مواصلة الطبخ؛ لابد أولا أن تغسل يديها، ثم تنشفها. عصبية قليلا رغم أنه لا ينظر تجاهها. ما زال وقت لتدخين غليون. وهكذا يجلس مرة أخرى على الكنبة. إنه يعرف عمره؛ لقد عزم على قبول ذلك أخيرا. يشعر بوجوب أن يقول أي شيء الآن. لماذا لا تتكلم لين؟ في صمت يقرر، أثناء حشو الغليون، ألا يبقى طويلا بعد الأكل، وألا يقبلها على أي الأحوال. يحشو الغليون بأقصى استرخاء، وبأقصى تعقيد. لا يحق لهاتين اليدين لمس خصرها. لين

مشغولة بمقلاة أخرى. شقتها: أصغر مما اعتقد في البداية، باب يؤدي للحمام، الأبواب الأخرى للدواليب فحسب، أي أن الشقة غرفة واحدة. نافذتان عليهما قضبان حديدية؛ مع ذلك سرقوا تلفزيونها. يبدو أن القضبان لا توفر الأمان الكافي؛ يلاحظ المكان الذي قوست فيه القضبان. تقول: What can you do?. طبعا يشعر المرء بالخوف في سكنه. ثم تطلب من الضيف أن يصب النبيذ. أمام النافذتين: سلم المطافئ الحديدي، كأنه صُنع خصيصا للصوص. تطل النافذتان على سور يبعد بالكاد خمسة أمتار، سور بلا نوافذ؛ فوقه بعض من السماء. هل من اللياقة أن يسأل المرء عن قيمة الإيجار. لذيذ ما طبخته وحمرته لين، تجلس الآن مسترخية. لم يقرعا الكؤوس، لين تقول فقط: «هاي». شهيتها مفتوحة، لكنها تقف مرة أخرى لتشغيل جهاز الاسطوانات: فيفالدي. دخلها الشهري: 1080 دولار، بعد خصم الضرائب: 750 دولار. أسبوعان إجازة في العام. هذا معتاد هنا. يمكنهم فصلها من أسبوع إلى آخر، إذا لم ترض الشركة - التي تملك ناطحة سحاب براقة - عن لين. هذا هو الوضع هنا.

Money

لم أجرؤ على السؤال الأبوي عن وضعها المالي (فالمدرسة التي تريد تأسيسها للأطفال المعوقين لن تمولها الدولة، لأنها لم تجد أي مصلحة حكومية تتكرم بالإشراف على كفاءتها التربوية) إلا عندما أصبحنا بمفردنا؛ لعل الابنة، التي أخذت أثناء الحديث تشتغل بالإبرة في تريكو من صوف غنم غير معالج كيميائيا، قد أساءت فهم

السؤال. ما يدين به الأب نفسيا لأطفاله بسبب تركه لعائلته لا يمكن تعويضه بالمال. أجابت: الأمور تسير إلى حين. تعبيرات وجهها أقرب إلى السخرية.

It is pointless

قالت لين عندما قام رغم ذلك بتقبيلها. حتى تجلس على الأريكة خلعت حذاءها. دون هذا الكعب العالي المصنوع من الفلين كانت بالطبع أقصر، ليس كثيرا، فقط أقصر بعض الشيء. فاجأه ذلك. لقد قبلته أيضا، ثم أزاحت اليدين الغريبتين عن خصرها، ليس على الفور، وإنما بحزم رقيق؛ إجابتها لا تُخجل، لأنها نادته باسمه الأول: إجابة غير محرجة، واضحة فقط. بعد ذلك تحضر ألبوما. لا يحب التفرج على صور. ولكن لا بد أن يكون ضيفا. صور عُرس زميلة من المدرسة في فلوريدا: لين ترتدي الأبيض، أقل رشاقة من الآن، حزمة طويلة من الزهور على ذراعها، حفلة زواج تحت النخيل.

I got married as a virgin ، تقول، That should not be allowed. تنزع كل صورة من الألبوم حتى يتفرج عليها.

ذكريات

عندما تزوجت أول مرة . . . يحاول أن يحكي بالإنجليزية: She too was a virgin ، ولكن ذلك لا يمت للحكاية بصلة، She was an architect too . يشعر بغرابة الحكاية، ويأمل أن تسعفه

إنجليزيته دون الالتجاء إلى قاموس لانجنشايت الأصفر الصغير- إلا إذا أكثرت لين من توجيه الأسئلة الثانوية. I got married twice ، يقول لها، legally ، يضيف لكي يختصر ويصل إلى الحكاية؛ واحدة من تلك الحكايات الحقيقية التي لم يكن لها أن تطول. يقول بين الحين والآخر: You know what I mean . ننتقل إلى شقة، ثلاث غرف في الطابق الأرضي مع حديقة صغيرة، كنا سعداء، يقول: to have got this place. لا يعنيني من يؤجر الشقق الأخرى في البيت. مع ذلك يتناهى إلى علمي أن امرأة شابة تسكن في الطابق الأول، مصابة بالشلل في كل جسمها، السيدة هالر، لذلك فإننا لا نراها على الدرج أبدا. I was thirty one، يقول لها، exactly your age. في أول صباح بعد حفل زواج من الطراز الأرستقراطي نجد زهورا أمام باب الشقة. من السيدة هالر في الطابق الأول. لم أصعد لأشكرها. إلا أنني أقابل أحيانا على الدرج آنسة متقدمة في السن تعتني بالمشلولة؛ اسمها أيشلبرج أو أيشلبرجر؛ نتبادل التحية عند صناديق الخطابات، وفي كل مرة تبتسم الآنسة ابتسامة لا يستطيع سبر غورها. كثيرا ما تستمع إلى الراديو، المشلولة، ليس فقط إلى الموسيقى - وهو ما يسبب إزعاج أقل - وإنما أيضا إلى تمثيليات ومحاضرات. لا نسمع صوتها أبدا. نعلم عن طريق امرأة تغسل الملابس أنها لا تستطيع منذ سنوات مغادرة فراشها؛ وأيضا لن تستطيع في المستقبل مغادرته. incurable ، هذه هي الكلمة، incurable. عندما أصعد إلى الطابق الأول، وهو ما يحدث كثيرا، لأطلب شيئا من الآنسة أيشلبرج، ملحا أو فتاحة علب أو شيئا مما ينقص بيتنا الجديد، فإنني أنتظر على الدرج؛ ألقي نظرة على الدهليز

الصغير، وعبر باب مفتوح أرى الحجرة التي ترقد فيها المشلولة. لا أراها هي، ألمح فقط دولابا وطرف سجادة. أعرف الآن أين سريرها. تسمع صوتي. ثم أنساها من جديد. ذات مرة واجهت موقفا محرجا: كان لا بد أن أسأل عن منصهر إليكتروني؛ دون مخزون المنصهر - الذي كنت واثقا من وجوده لدى الآنسة أيشلبرج، تماما مثل ابتسامتها الغريبة - لكنا قضينا معظم أوقات سنوات زواجنا الأولى في الظلام. يُطلَب مني الدخول. أفهم أن السيدة هالر، التي تسمع صوتي منذ عام، ترغب أن ترى الجار مرة. أكذب على الفور وأقول إن لدينا الآن ضيوفا. مجرد خمس أو ست خطوات. أقول: بكل سرور مرة أخرى، وأشكرها على المنصهر. فيما بعد أشتري على سبيل الاحتياط عددا من المنصهرات؛ لم أعد أريد الصعود إليها. لا أعرف على وجه التحديد سبب عدم رغبتي في رؤية السيدة هالر. أطلب من زوجتي، عندما تنسى شراء شيء، أن تصعد هي. لم أصعد إليها لمدة عام. في ذلك الوقت رُزقنا بطفلنا الأول، وأقرر البحث عن شقة أخرى، شقة أكبر، إلا أن النقود تنقصني، وهكذا نبقى. ويمضي عام آخر إلى أن أعرف من هي تريزه هالر. كان شيئا طبيعيا ولا يمكن تجنبه أيضا، أن تتصادق زوجتي مع الآنسة أيشلبرج هذه التي ترعى طفلتنا أُرزولا في بعض الأحيان، وأن يُطلب من زوجتي الدخول إلى الشقة العلوية؛ لم تقل لا، وتعرفت على المشلولة التي لم تعد تستطيع حتى تحريك اليدين، فقط رأسها. الشلل إثر عملية ولادة. تحكي لي ذلك أثناء جلوسنا إلى المائدة، زوجتي وأنا وطفلتنا على عرشها الصغير. وبينما أخذ لعاب الصغيرة يسيل، يتناهى إلى سمعي من بعيد أن

المرأة المصابة بالمرض العضال تعرفني. قالت إننا كنا في نفس المدرسة الإعدادية. تريزه هالر-موك، منذ سنوات وأنا أرى اسمها على صندوق الخطابات الخاص بها دون أن أتعرف على اسمها قبل الزواج: «تَزي!». لم نكن فقط في نفس المدرسة، my first love ، يقول، but she could not know this . فتاة بدينة بضفائر شقراء. لم أنفرد بها أبدا. أفضل أصدقائي، صبي من الطبقة العاملة، كان يحب تَزي هو الآخر. في مقلاة والدته التي كانت تعمل أثناء النهار في مغزل، صنعنا دبلتي زواج من الرصاص. لم تعرف تَزي عن ذلك شيئا. عدة أيام ونحن نقضي فترة بعد الظهر في صب الدبلتين؛ في مقلاة التحمير كان الرصاص يبدو كالفضة، إلا أنه يفقد بريقه كل مرة عندما يبرد، وإلى أن يتمكن المرء من إدخال الدبلة في الإصبع كان لونها يغدو رماديا منطفئا. لم يتبق أمامنا سوى الإمساك بـ«تَزي» في فناء المدرسة وجذبها من ضفائرها. ذات مرة، أثناء رحلة مدرسية، قبلتني على شفتي، الفتاة ذات الرابعة عشرة، وصديقي كذلك . . . أعدُ بزيارة المشلولة خلال الأيام المقبلة؛ أنوي فعلا. عندما نجلس في الحديقة فإنها من الممكن أن تسمعنا؛ نافذتها في الأغلب مفتوحة. تقول إن معاناتها بلا آلام. لما قرأت في الجريدة أنني حققت نجاحا مهنيا، أرسلت لي تهانيها. مازلت لم أصعد بعد إلى السيدة هالر. Why not? يرد قائلا: I just don't know . في تلك الأثناء كنتُ قد استأجرت غرفة تحت السطح في البيت نفسه، حتى أستطيع العمل مساءً دون أن أغادر البيت؛ وهكذا أمر كل يوم تقريبا أمام باب شقتها. It's a shame ، يقول، I know . عدت ذات مساء من ورشة البناء إلى المنزل لأجد باب شقتنا مفتوحا على

مصراعيه، لا أحد في الشقة، والمطر ينهمر؛ لا يمكن أن تكون زوجتي في الحديقة، أنادي دون نتيجة. لعلها فوق؟ في المطبخ أجد مقلاة فوق الموقد، مقلاة متوهجة. عندما صعدت، فتحت الآنسة أيشلبرج وهدأتني قائلة إن زوجتي قد عادت إلى وعيها. لا أفهم ماذا حدث، وعندما أدخل إلى الشقة، التي تجنبت دخولها منذ سنوات، فقد كنت مستعدا في تلك اللحظة لمواجهة أي شيء، إلا السيدة هالر. قيل لي إن البرق صعق زوجتي وهي واقفة عند الموقد. زوجتي مستلقية على فوتيل ذاهلة تقريبا عما حولها، شاحبة ولكن واعية. كانت آنذاك حاملة في طفلنا الثاني. تطلب مني الآنسة أيشلبرج أن أجلس. لم أجلس. أقف بين زوجتي وبين المشلولة الراقدة على فراشها. طفلتنا أيضا هنا؛ العائلة كلها. السماء ما زالت تبرق. مرة أخرى يُطلب مني الجلوس. بعد أن استمعت إلى الحكاية بتفاصيلها، أجد أنه من اللائق أن أحيي السيدة هالر؛ أقول: تَزي! وكأنني دخلت لتوي إلى الغرفة. بالمناسبة، سريرها لم يكن في المكان الذي كنت أظنه منذ سنوات، بل في الزاوية اليمنى، الأمر الذي أزاد ربكتي، وجعلني أنسى في تلك اللحظة ما أعرفه منذ سنين: لتحيتها أمد إليها يدي التي لا تستطيع مصافحتها. لكنها تبتسم. ذراعاها ترقدان جانب جسدها فوق الفراش، ذراعا دمية. تحادثنا دون رفع الكلفة بيننا. أجلس بحيث لا تحتاج إلى إدارة رأسها أثناء الحديث. ترى السيدة هالر أنني لم أتغير. لها وجه طفولي، تتكلم ببطء، وفرح، بالقدر الذي يليق نظرا لحالة زوجتي التي مازال البرق يرعبها. قامت الآنسة أيشلبرج بعمل الشاي. فصلت التيار الكهربائي عن موقدنا. ترقد المشلولة مرتدية عقدا

وإسورة وقد صُففت شعرها بعناية وكأنها كانت تنتظر زيارتنا. لم تسأل لماذا لم أصعد لزيارتها أبدا. طفلتنا أُرزولا تجلس على فراشها. عندما انتهينا من احتساء فنجان شاي، وجدت أن الوقت قد حان لأخذ زوجتي والنزول بها، رغم أنها بالذات كانت تستمتع بهذا الجو المؤنس الذي أنساها رعبها قليلا؛ أقول، كما قلت مرة سابقة: بكل سرور مرة أخرى! بالطبع أشكرها على مساعدتها وعلى كل شيء. لا أعرف كيف أودع السيدة هالر، إذ إنها لا تستطيع أن تمد يدها. هل ألمس يدها بالرغم من ذلك؟ كنا قد تذكرنا اسم صديقي آنذاك: كان يدعى بوندي، إميليو بوندي. يا ترى ماذا أصبح الآن. لما قمت بتوديعها أخيرا وبشيء من الفجائية، خاطبتها بـ «السيدة هالر». ذلك وقعه أفضل على الأذن من « تزي»، وأكثر دفئا، لمست يدها الساكنة الملقاة جوار الجسد فوق الغطاء؛ يبدو أنها لم تشعر بيدي. نذهب. كشف الطبيب على زوجتي الحامل ووجد كل شيء على ما يرام. لم تتذكر ذلك إلا في الساعات الأخيرة قبل الوضع، كانت ليلة ممطرة دون برق أو رعد، فجأة يجتاحها خوف هائل أن تلد كائنا مصابا - منذ لحظة الولادة - بمرض عضال. أشعر بالذنب. أرى على وجهها أن زوجتي تفكر في ذلك هي الأخرى، إلا أننا لا نعترف بذلك لأنفسنا. أمسك بيدها العرقانة إلى أن يطلب مني الطبيب أن أتركها؛ ينصحني بالجلوس في غرفة الجلوس، وتناول كأسا من العرق، سوف ينادونني. إلا أن زوجتي تريد أن أكون موجودا عند الوضع. أبقي حتى تلد الطفل. طفل في صحة جيدة، ولد. ظللنا نسكن لبضعة سنوات في تلك الشقة، ولكني لم أزر السيدة هالر ثانية. نويت فقط. فيما بعد (1955) تركت الشقة -

Max, you are a monster

– وسكنت بمفردي: غرفتان في بيت فلاحين، مطبخ وحمام، وجهاز اسطوانات سُمح لي باستخدامه حتى العاشرة ليلا. ليس المرء بحاجة إلى فرد ذراعيه حتى يلمس سقف الحجرة. الفلاحة العانس بالأسفل تسمع كل خطوة، حتى عندما يخلع المرء الحذاء. الصوت الخافت في الفرن الذي يعمل بالزيت. ثلاثة أشتية وأربعة أصياف حافلة بالعمل –

MONTAUK

لا تتم كل الأمور في هذا اليوم الصحو كما يبغي. اقتراحه بعد أن اطلع على الخريطة: CULLODEN POINT. بماذا يُمني نفسه: قرية، قرية صيادين صغيرة على ميناء، صوارٍ، بيوت، سكان (كالعام السابق في منطقة البريتانيا) – ثم يكتشف أن المكان لا يستحق مجرد التوقف: أرض مسطحة عليها أكشاك خشبية، إلى حد ما متآكلة، قوارب بمحركات بجوار الشمندورات، أخرى على الأرض للتصليح، مواقف سيارات، محطات وقود تزينها أعلام، كومة من إطارات الكاوتشوك القديمة، منطقة مليئة بالنفايات من كل نوع، وبالحفر أيضا: FOR SALE ، اللافتات المشهورة: TEXACO, PIZZA, SHELL, BLUE RIBBON, HUMBURGER, REAL ESTATE . انتصف النهار الآن – ربما تفضل الشابة، المدعوة لين، أن تكون بمفردها في مكان آخر . . . AMAGANNSETT : اسم من لغة الهنود الحمر أيضا؛ يهبطون من السيارة رغم عدم وجود قرية هنا: نجيل يحيط بفيلات خشبية بيضاء، نجيل وأشجار، كل

شيء مُعتنى به، ثم لافتة: FOR RENT. لا أسوار خشبية؛ كلهم ميسورو الحال في هذا الحي، لديهم جميعا زهور، الطبيعة كعنوان للرخاء. حتى السماء الزرقاء تبدو مُعتنى بها. كل بضعة أمتار سيارة ليموزين. رشاشة مياه وسط النجيل لطرد الملل الأخضر. ماذا يفعلان هنا؟ سيان إذا سار المرء في هذا الاتجاه أو ذاك: نجيل وأشجار، الفيلات البيضاء. راية بنجوم معلقة في مكان ما - المركز على ما يبدو. يشعران بالوداعة، كل شيء هنا براق ووديع تماما كما في الإعلانات. يسمعا تغريد طيور. وفجأة يشعران بالخواء الذي يجعل الحديث عن أي شيء مستحيلا. يقرءا لافتات: CHURCH, LIQUOR STORE, ANTIQUE SHOP, BOUTIQUE. قد يتغلبان على ذلك لو اشتريا شيئا يشعران بالاحتياج إليه. على الأقل بدأت لين تتفرج على البنطلونات والأحزمة، لا تبحث عن شيء بعينه؛ تقلب في ما هو موجود. لن تشتري شيئا؛ لن ترغب في شراء شيء، إذ إنها لا تريد أن يهديها إياه. يشعر على الفور بالملل الذي يصيبه دائما عندما تتفرج امرأة على أشياء لن تشتريها أبدا. لا يذكّر لين بجوعها. هو بالأحرى عطشان. الفتاة، التي تدير البوتيك أو على الأقل تعمل فيه، لم تنهض من مقعدها؛ قارئة حافية. لا يسببان لها أي إزعاج، حتى عندما توجه لين سؤالا بدافع التهذب وتتلقى إجابة عليه. ما تقرأه في الكتيب يبدو أكثر أهمية لها من البوتيك. لا يدري لماذا ينظر إلى قدميها، قدمي قارئة. أسماك زينة في حوض زجاجي. خسارة الوقت. لين تقف الآن عند القبعات. يتعجب لأنه لم يصبح عصبيا. يفكر المخ دائما في شيء ما، غالبا نفس الشيء، لذلك لا يهتم المرء بما يفكر فيه. عندما اختار حزاما ليعاينه من

وسط مجموعة أحزمة بأبزيم ثقيل وعابس قالت له لين: Much too expensive . ولا هذا يزعج القارئة. يمكنهما الذهاب إذن. يقول: «باي» ؛ لم ترفع القارئة بصرها، ولكن تقول: Have a nice day. في السيارة (لين تقود) يعرف فيما كان يفكر أثناء وجوده في البوتيك: - أرغب في وصف هذا اليوم، هذا اليوم لا سواه، نهاية الأسبوع معا وكيف حصل ذلك، وماذا سيحدث بعد ذلك. أرغب في القص دون اختراع شيء. موقف ساذج من القاص.

لماذا نهاية هذا الأسبوع بالذات؟

بدلا من وصف أول أشياء اشتريتها في السوق الأسبوعي الصغير في برلين، الشقة الخاوية حيث انتظر العمال أثناء النهار. ابتداء من الغد سيكون لدينا ماء ساخن. الشوارع في هذا النصف من برلين، وحانات برلين، ونصف نهر الهافل بها، وأشجار صنوبرها تحت السماء الشمالية. بعد الظهر في المدينة بغرض شراء أجهزة للمطبخ؛ إنها المرة السابعة التي نؤثث فيها مطبخا. تقع الشقة على طريق مطار تمبلهوف؛ من الغرب تهبط وتقلع الطائرات على ارتفاع منخفض، لذا يدوي ضجيجها في الفناء الخلفي؛ ما بين الهبوط والإقلاع سكون - حي فريدناو[5]. نحتاج إلى أكثر مما اعتقدنا: ستارة شفافة تسمح بنفاذ شمس الصباح إلى المكتب. أثبت في الحائط خمسة مشاجب لتعليق الملابس. كنا نقول حتى أمس الأول: سأذهب الآن إلى الشقة. اليوم نقول: أنا ذاهب إلى البيت. كراتين

---

(5) اسم الحي معناه «واحة سلام».

من كل لون تتنكر في شكل أثاث. دولاب قديم يعجب الزوار على الفور: من وجده؟ أنتِ وجدتيه. من وجد المائدة الطويلة؟ أبحث عن خوابير بلاستيكية. في أنحاء الغرف البيضاء الخاوية تتردد أنغام موسيقى من ترانزيستور صغير. هذه بالضبط هي الشقة التي بحثنا عنها في زيورخ بلا طائل: بسيطة ولكن بغرف ذات سقف عال. ها نحن إذن في برلين. أما الأسباب فمتنوعة: الحياة مع السور، بعض الأصدقاء يعيشون في الناحية الأخرى، منهم من يخجلني بشجاعته، شجاعة كبيرة. يوم الأحد على قبر الأديب كلايست. أفضل ديكور داخلي للمعمار الحديث رأيته في قاعة شاروون الفيلهارمونية. فبراير بارد؛ الهواء الخفيف. أول ما يتم تأثيثه هو المطبخ؛ موقد بالغاز. لا يجب أن تزدحم الشقة بالأثاث، هذا هو رأيي كذلك، ولكن المرء يحتاج إلى مقاعد. التليفون على الأرضية الباركيه. طاولة مستديرة صغيرة تُذكِّر بمقاهي الحدائق أو المطاعم الصغيرة. ثريا على طراز الشباب[6]، كان قد أحضرها يوريك من جمهورية ألمانيا الديمقراطية، وثريا أخرى من الطراز نفسه أعجبتك أنت أيضا. أوزفالد فينر يشرف الآن على حانة، «المنفى»، نشعر فيها بالراحة. عثرتِ على كراسي، الواحد بخمسين ماركا، كنت معجبة جدا بالدكان الذي يقوم بالبيع فيه طالبان ملتحيان؛ أقف هناك لأفحص الكراسي، وأنت أدرت وجهك عني، وكأن لا علاقة لي بالكراسي؛ زبون آخر. الملتحيان، اللذان يعرضان علينا نبيذا، يتعاملان معنا

---

(6) طراز الشباب (يوغندستيل) اتجاه فني نشأ نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ولاقى قبولا خاصا في العمارة الداخلية للمساكن وكذا الأثاث، وتميز بالاهتمام بالزخارف والنمنمات.

كزبونين أتيا معا. نقضي عصرا على بحيرة شلاختين؛ عندما تشعرين بالسعادة أنسى لبرهة تعاستك معي . . .

JOURNAL INTIME

عندما أقرأ فيه، مثلا لاحتياجي إلى تاريخ معين أثناء حديثنا، تتولاني الدهشة: لقد توصلت قبل سنتين أو خمس سنوات إلى نفس الرأي - فقط نسيته مرة أخرى، لأنني لم أتمكن من أن أعيش وفق آرائي؛ بقدرة خارقة عشت العكس تماما.

It is pointless

كان يتوقع أن تتصل به من البهو. بالخارج أمسية صيفية. وإذ بأحد يدق على باب الغرفة، ولين تقف أمامه. تقول له في الحجرة بعدما أغلق الباب: «هاي!» لا تخلع الجاكت الوبري لأنهما بالطبع لن يبقيا في الغرفة. يسيران دون الإمساك باليد. لم تجد لين اليوم وقتا لتمارينها الروحية اليومية. عشرون دقيقة قبل كل فطار، عشرون دقيقة على كرسي المكتب بعد العمل. اليوم استدعاها الرئيس: اجتماع. لا تحتاج الآن إلا إلى مقعد وعشرين دقيقة. ليس من اللازم أن يغادر الغرفة، وجوده لا يضايقها طالما أنه لا يتكلم. بعدما وضعت شنطتها على السجادة، شنطة كبيرة كأنها مخلاة، جلست دون كلمة مغمضة العينين، باسطة راحتيها باسترخاء فوق بنطلونها. يمكنه أثناء ذلك قراءة الصحيفة، BOOK REVIEW. أخذ يعبث في المطبخ الصغير حتى يكون بعيدا عنها دون أن يخلع الجاكت. لم يكن يراقبها إذن وهي تجلس، وتتنفس؛ الكف ساكنة ومسترخية.

تتنفس. لا شيء غير ذلك. تتنفس بسهولة، ثم - هكذا يبدو له - ببطء وانتظام يتزايدان. ألقى نظرة على ساعته ليحسب العشرين دقيقة. ساقها الأيمن ينحرف قليلا دون أن تلاحظ ذلك، كالنائم أثناء الجلوس. لين غير نائمة. أخذ يفكر خلال الدقائق الأولى التي مرت بطيئة: show. ثم يقف عند النافذة، ظهره لها ويداه في جيبي بنطلونه. مرة أخرى يلقي نظرة من الطابق الحادي عشر على تقاطع الطريق. منذ عامين كان في الطابق السادس عشر. الناس من هذا الارتفاع: قبعات بأكتاف، ملونون، مسطحون كأزرار، ظلهم الطويل يرافقهم عند سطوع الشمس أو تحت ضوء المصابيح، ثم يدور الظل حولهم، يقصر ثم يطول ثانية. عندما ينتظر المرء أحدا (كما حدث قبل عامين)، ويريد التعرف على الشخص القادم، فإن الأمر صعب: قبعة بنية تجعل المرء يفكر على الفور أنها جاءت، لم تتأخر، لا داعي للشك. إلا أن المرء قد يُخدع، وتذهب القبعة إلى مكان آخر. حتى لا يجتر الماضي مرة أخرى، يترك أخيرا النافذة: مرت الآن اثنتا عشرة دقيقة، ومازالت الغريبة تجلس على المقعد، الرأس مستقيمة، شفتاها مضمومتان ونحيفتان، عيناها مغمضتان. inconnue de la seine ، يحاول أن ينظر إليها بسخرية. ولا هذا يضايقها. يجلس أخيرا على المقعد الآخر ليحشي غليونه. هو في الحقيقة لا ينتظر. إنه يجلس هناك فحسب، الكوع فوق الركبة، وفي اليد الغليون المنسي. دون احتياج إلى نشاط ما. ليست الغرفة ساكنة: الأزيز الخفيف لجهاز الإيركونديشن، بين الحين والآخر باصات، وذات مرة صفارة سيارة الشرطة. يتفحص سجادة الغرفة. يبدو أن كل الغرف هنا بها نفس السجاد. حتى هذه الخاطرة واتته كثيرا. رقد

مرة وهو سكران على هذه السجادة القذرة بذراعين ممدودتين تماما، وأنشأ يقول: أشعر باستدارة الأرض، أشعر باستدارة الأرض، كان ذلك بعد انتصاف الليل عندما عادت إلى الفندق، ولم تكن بحاجة إلى ذكر من أين أتت أو سبب مجيئها متأخرة، كان مبتهجا لأنه وجد أحدا يقول له: أحضن الأرض! لم يقطع عليه شخص نشوته؛ ولا كلمة عتاب لأنه لم يرقد على الفراش وإنما على السجادة؛ أُلقي الغطاء الأصفر، الذي كان على السرير، فوقه بعناية حتى لا يصاب بالبرد فوق السجادة بجانب السرير، أحضن الأرض! كان سعيدا . . . يرن الآن التليفون الأبيض؛ يتردد، لكنه يرفع السماعة حتى يوقف الرنين. لا يتحدث بصوت أخفت من المعتاد، ولكن الجمل أقصر. بالألمانية. موعد للغد. بعدما وضع السماعة أخذ يتأملها: عنقها الشاحب، منبت الفك اللطيف الصارم، الأذن؛ كانت قد ألقت شعرها إلى الوراء. انفرجت شفتاها الآن قليلا. بان عليها التعب عندما وصلت. الكل يعرف أنها مدينة مجهِدة. تمسح بيدها ذات مرة على شعرها دون أن يتحرك رأسها أثناء ذلك؛ يبدو هذا عجيبا: ما هو الشخص - يد أم رأس؟ ثم تستريح هذه اليد على البنطلون مرة أخرى. فخذاها نحيفان. ينظر إلى ساعته. الزمن لا يقف، إنه يصبح فقط زمنا آخر . يجلس دون أن يحشو غليونه؛ يتجه ببصره إلى الأشياء: آلتي الصغيرة للكتابة، أوليفتي ليترا، المصباح الأصفر، صحن من البلاستيك، ولاعتها الخضراء، شنطتها جوار المقعد على الأرض؛ ثم يحول نظره إلى النافذة المفتوحة: واجهة المبنى المقابل، BROWNSTONE، خزانات المياه السوداء منتصبة فوق الأسطح تجاه السماء الصفراء. لم تظلم الدنيا بعد. يسدد بصره إلى

قدميها الحيتين. كانت قد خلعت حذاءها حتى تكون حافية؛ يبدو أن ذلك مألوف في التدريبات. قدماها، يداها، جبهتها، أذنها. كل شيء ساكن. ولكنها تتنفس، تتنفس. جسد حي. يمكنه أن يشاهد هذا المنظر طويلا. لما فتحت عينيها ولم يبد عليها أي ارتباك لوجود شخص في الحجرة، ثم ارتدت دون كلمات حذاءها، عندئذ نظر في ساعته (دون أن تلاحظ لين ذلك): عشرون دقيقة بالضبط، تقريبا بالضبط. إلى أين نذهب لتناول الطعام؟ تريد أن تدخن سيجارة أولا. تقول: I am hungry ، ولكنها لا ترفع حقيبتها من على الأرض. ترغب عندئذ في الذهاب إلى الحمام. ينتظر وفي يده مفتاح الغرفة. مستبشرا. رفض دعوة، دعوة جذابة، كي يكون وحيدا مرة أخرى، يفرحه أن لين ترافقه. عندما عادت من الحمام يلفت انتباهها إلى الحقيبة. تقول: I'll take it later . تبقى حقيبتها في غرفة الفندق.

I like your sense of humor

وسط الصحبة (PEN CLUB) تضحك لين كما ينبغي. How funny ، مع أنها لا تطيق الناس. بمفردهما تضحك في المواقف التي لا يتوقعها. ضحكتها رنانة نسبيا. لا يستطيع أحد أن يجعلها تضحك. هي أيضا لا تستطيع كبت ضحكتها. تضحك كامرأة فوجئت. يغير هذا من ملامح وجهها في اللحظة الراهنة، غالبا ما يشعر عندئذ أنه لم يقل شيئا يستدعي الضحك. هي لا تضحك لأنها سمعت نكتة. لا تطول ضحكتها أبدا، إلا أن وجهها يبقى لفترة مشرقا، وكذا نظرتها.

You have an open face

هذه الكلمة لم تُنطق أبدا:

I love you

(عن الحب، كعلاقة بين الجنسين، لم يعد هناك جديد يُقال، لقد استنفد الأدب تناول هذا الموضوع من كل جوانبه، لم يعد ذلك موضوعا بالنسبة للأدب الذي يستحق هذا الاسم - يقرأ المرء مثل هذه الأحكام التي تتجاهل أن العلاقة بين الجنسين تتغير، أن قصص حب أخرى تنشأ.)

Woman's liberation:

يقول إنه يؤيد ذلك بكل قوته، وأن لا شيء أكثر إلحاحا بالنسبة لمجتمعنا. هل عاش مع امرأة متحررة؟ السؤال لا توجهه لين، ويندم لأنه سأل نفسه هذا السؤال؛ الآن تريد لين معرفة الإجابة بينما أخذ هو يصب الشاي. امرأة متحررة؟ إنهما يأكلان بالعصي في مطعم صيني، يوفقا حينا، ولا يوفقا أحيانا، تلتقط العصوان حبات الأرز الجاف الخفيف، بينما تنزلق شرائح الخزيران. لا يفقد المرء الشرائح فحسب، بل أيضا موضوع الحديث . . .

الإله الطيب من مانهاتن[7]

كنت لأسباب مهنية في راديو هامبورغ، هناك استمعت إلى

---

(7) تمثيلية إذاعية كتبتها إنغبورج باخمان عام 1958.

التمثيلية الإذاعية، ثم كتبت خطابا إلى الشاعرة الشابة التي لم أكن أعرفها شخصيا: كم هو جيد، كم هو مهم أن يعبر الجانب الآخر، المرأة، عن نفسه. كنت أعرف أنها تستمع إلى المديح بما فيه الكفاية، إلى مديح فائق، رغم ذلك وجدت نفسي مدفوعا إلى كتابة الخطاب. كنت أريد أن أقول: نحتاج إلى تصوير الرجل من خلال المرأة، تصوير المرأة لذاتها. ردها المكتوب أذهلني: سوف تسافر إلى باريس وتمر على زيورخ، إلا أن وقتها محدود، أربعة أو خمسة أيام. ماذا تقصد بذلك؟ إلا أنها لم تجيء. لم يكن لدي عنوانها في ميونيخ أو في باريس؛ إذ كنت أرسلت إليها عن طريق دار النشر. عندما سافرتُ بعدها إلى باريس، عرفت هي ذلك عن طريق الصحف، واهتدت إلى محل إقامتي، HOTEL DU LOUVRE. حضرت لتشاهد عرض مسرحيتي، THEATRE DES NATIONS، مرتدية ملابس تناسب الجلوس في اللوج. غمرتني السعادة عندما جلسنا في مقهى أمام المسرح وشربنا كأسا من البرنو، قلت لها: ليس من الضروري أن تتفرجي على المسرحية. تجاهلت قولي، وانشغلت بحقيبتها وقد استولى عليها الارتباك لأنها لم تعثر على شيء ما. لم تكن عندي تذكرة لدخول اللوج، ولكن تذكرتان للبلكون. لماذا قلت ذلك؟ الممثلون في انتظاري، أول عرض في باريس، أول عرض لي، كان رأيي أن العرض ممتاز، ومسرحيتي جيدة، ولكن عندما حان وقت الدخول كررت عليها: **إنجبورج باخمان، ليس من الضروري فعلا أن تتفرجي على المسرحية.** بدلا من دخول المسرح ذهبنا إلى أول عشاء لنا معا. لم أكن أعرف شيئا عن حياتها، ولا حتى شائعات حولها. **هل تعيشين مع طفل؟** سألتها

في البداية، وكانت مسرورة، مستغربة، سعيدة لأن أحدا لم يكن يعلم أي شيء عنها.

MONTAUK

بالأمس أثناء سفرهما إلى هنا تحدثا قليلا، لين أمام عجلة القيادة، بينما هو مشغول بالخريطة: You have to navigate » يُضحكه تعبيرها. في نهاية الأسبوع الماضي كانت الشمس ساطعة. الآن بدأت تمطر. تمكنت لين من مغادرة المكتب مبكرا، في الساعة الثالثة ظهرا. قد يكون الطقس على الأطلنطي - هكذا يعزيان أنفسهما - مختلفا تماما. الطقس مهم. بإمكانهما، إن لم تمطر، التنزه على الأقدام، عندئذ لن يبدو المبيت كهدف. SUNRISE HIGHWAY ، بعد هذه اللافتة لا يمكن أن يتوها؛ يمكنهما إذن الآن أن يتحدثا، أن يتبادلا الحكايات. في الغالب يأتي متأخرا؛ لين تمسك بولاعتها في يدها. سألته مرة: ?Do you snore طريق السيارات الآن جاف؛ إنها لم تمطر هنا على الإطلاق. يخفف هذا عن كلاهما، ولكن لا يأتي بمادة للحديث. استقالة المستشار الألماني فيلي برانت: ليس موضوعا يكفي للتحدث فيه بضعة أميال ... قبل بضعة أيام لم أستطع بعد منتصف الليل مقاومة الاتصال بكريستا فولف[8] في أوبرلين بأوهيو: في أي شيء تفكر حكومتكم،

(8) كريستا فولف Christa Wolf (18/3/1929) من أهم كاتبات ألمانيا الشرقية (سابقا). انضمت في شبابها إلى حزب الاتحاد الاشتراكي الحاكم، إلا أن أعمالها تُظهر بوضوح موقفها النقدي من الماضي النازي والحاضر الاشتراكي. من أشهر أعمالها «كاسندرا» *Kassandra* (1983)، صدرت ترجمتها العربية عن منشورات الجمل، ترجمة: سالمة صالح، 1999.

لا، أعرف يا كريستا، لا ذنب لك في هذا، كريستا، أعرف، كريستا، أنا آسف . . . يمينا ويسارا أرض خلاء مقفرة، هنا وهناك بعض المباني، أنطولوجيا اللاعمارة البشعة. يشعر بالسعادة لأن مازال أمامهما سفر لأميال عديدة. ماذا يمكن للمرء أن يفعل هنا؟ يرى أن لين تجيد القيادة. تسأل ما إذا كان دائما بهذا التهذب عندما يجلس بجوار سائق. ذات مرة أدارت رأسها وتطلعت إليه: I do not know you at all ، قالت، ثم سألت عن عيوب الغريب الذي يجلس جوارها. Are you a sadist? بعدها بقليل تلوح لأول مرة لافتة: MONTAUK . الآن يغلب عليه التأكد من فشل هذه الرحلة، كان يفضل أن يكون في نيويورك. قام بشراء الخريطة، الأشياء الأخرى قامت بها لين: NATIONAL CAR RENTAL, GURNEY'S INN ، الحجز مع سداد جزء من الفاتورة عن طريق التلغراف. ترجوه رجاء يمكن تحقيقه: ألا تقف بجواره وهو يسجلها في الفندق تحت اسمه. يتذكر الأيام الخوالي. في تلك الأثناء تمشط لين شعرها في السيارة. يبدو أنها تعرف هذا الموقف، ولا تحبه أيضا. عندما جاء صبي ليأخذ الحقيبتين الصغيرتين من السيارة، ظلت صامتة. لغته الإنجليزية، ولغتها الإنجليزية، لا يمكن أن يحملا نفس الاسم. Okay ، يقول في الغرفة دون أن ينظر حوله، ثم يعطي الولد، الذي أراد أن يريه الحمام، بقشيشا. تظل لين صامتة إلى أن ينصرف الصبي. Well ، تقول دون أن تخلع جاكتها الوبري. كلاهما أكثر ارتباكا مما يكونان في الشقة. يقف أمام الستائر الشفافة عابثا. غرفة بشرفة تطل على الشاطئ القريب. سريران، بينهما طاولة صغيرة فوقها أباجورة. يخرجان على الفور إلى الشرفة. في الخارج

بعيدا في الأطلنطي تبرق الشمس. لين تقترح الخروج للتمشية، وهو يرحب موافقا؛ قبل الخروج تريد أن تغسل يدها.

هناك أيضا طاولة بنج بونج.

لين تعرف الفندق من رحلة نظمتها الشركة التي تعمل بها؛ فندق بين الكثبان الرملية. كان ذلك في الصيف. عندئذ يزدحم المكان بالناس، هذا إذا كان الجو يسمح بالسباحة. مازال الطقس الآن أبرد من أن يستطيع المرء السباحة، لكن من الممكن التمشية، إذا لم تمطر غدا.

هل يدري عما يتحدثان في اللحظة الراهنة؟

لن تتعرف لين على عيوبه. ليس لديها الوقت لذلك. الأمر بحاجة إلى زواج، زواج طويل، حتى تظهر العيوب ... لم أعاملها كخادمة (بين الحين والآخر كنت أغسل الأطباق أيضا، وأفرغ القمامة في الصناديق المخصصة لها بأسفل المنزل، وأتسوق ... إلخ) لم أضرب أبدا المرأة التي أحبها؛ شكواها من نوع آخر، شكوى تصيبني في الصميم. كنت في حاجة إلى عام حتى أعترف بذلك. في البداية وجدت الأمر مضحكا، ملخص ما قالته: أنني لم أساهم بأي شيء طوال عشر سنوات في سبيل أن تحقق ذاتها. تتحدث بكل هدوء. حملتها على يدي: أكثر الطرق راحةً للتعامل مع امرأة، وأسوأها أيضا. أعترف بهذا. أثر فيّ اتهامها بطريقة مختلفة عما قصدت هي. يبدو أنني تصرفت منذ البدء وكأنني الله الآب أو على الأقل آدم الذي خلقت الأنثى من ضلعه: هيا، اتبعيني، سأقودك! لم

تكن المرأة ناكرة للجميل، لكن يائسة. كيف كنت أنظر إلى سنواتنا الجميلة - فجأة تبدو لي كأنها سنوات ضائعة. عيبي: male chauvinism. سلوكي فقط، منذ البداية ويوما بعد يوم، جعل امرأة ذكية تعتقد أن تحقيقها لذاتها أمر يقوم به الرجل، الرجال.

هنا تكمن أخطائي

شاطئ مترامي الأطراف لا تُرى له نهاية، يضيع الشاطئ عند الحافتين عندما يحتويه الضوء البنفسجي الحليبي للماء المتبخر. الجو تقريبا حار رغم الريح. في الرمال كرسيا بحر عليهما وسادتان باهتتان، على مرمى البصر ليس هناك كراسي أخرى؛ من يمتلكهما؟ ولا إنسان على مرمى البصر. يستخدمان الكرسيين دون أن يغيرا مكانهما: متوازيان تقريبا، المسافة الفاصلة بينهما أكبر من ذراع. كانا قد قاما بتشمير البنطلون قبل أن تغوص أقدامهما في المياه. قد يتحمل المرء ذلك لفترة. الأمواج المتكسرة سوف تجلد الجسد. ليس معهما لباس البحر، وهكذا يستلقيان على الكرسيين، تفصلهما مسافة تزيد قليلا عن ذراع، ينظران ناحية الأطلنطي الداكن وإلى أربعة أقدام عارية؛ الآن لم يعد الرمل يلتصق بالبشرة، الرياح تأخذه بعيدا . . . أثناء سفرهما بالأمس إلى هنا، وعند المرور على المدافن اللانهائية في كوينس، تسأله: Do you want to get buried or cremated? يتبنيان نفس الرأي، وبكل تصميم . . . الساحل هنا مختلف عنه في البريتانيا منذ عام، أما الأمواج فترتطم به كما في كل مكان. الآن تمر بعض السحب البيضاء؛ تنعكس صورتها في ضحكة الأمواج الزرقاء المتلاطمة بالساحل، ثم يهبط بخار الماء، ويتحول

لون الرمل إلى الرمادي، إلى أن يمد الزبد لسانه من جديد، ويتألق مرة أخرى لبرهة.

عصر طويل وهين.

هرميس يمر

عنوان إحدى الأوبرات التي كنت أريد كتابتها: عاشقان يهربان إلى متحف، ثم تدخل مجموعة مع مرشد يقوم بالشرح التفصيلي لأحد التماثيل، لا أحد يلاحظ أن التمثال ليس موجودا على الإطلاق؛ لقد نزل هرميس(9) من فوق قاعدة تمثاله حتى يقود العاشقين داخل المتحف - كوميديا مليئة بمواقف سوء الفهم وبالأخطاء . . . غدا الأحد، في المساء لا بد أن تكون لين في المدينة، ويوم الاثنين في المكتب، يوم الثلاثاء يطير هو إلى أوربا.

Hi، تقول، What are you thinking about?

ما الذي يصمت عنه: كيف أسير ليلا بالبيجاما في حي فريدناو؛ لا شهود عيان في الشارع، فقط الفوانيس في المطر، المطر المرئي تحت الضوء، ثم سيارة، لكنها لا تقف، أسير فوق الرصيف بالبيجاما حافيا، لكن الجو بارد، فبراير في برلين، بلاط الرصيف المبلول، البيجاما التي تقطر ماء، لا أبعد كثيرا، لأنني أرتعد بدلا من أن أخجل من نفسي . . .

---

(9) هرميس - في الميثولوجيا الإغريقية - رسول الآلهة، وإله التجارة، ورفيق الموتى في العالم السفلي.

وقف مرة ثم سار إلى الشاطئ، شمر البنطلون عن ساقيه إلى أعلى، إلى أعلى ما يستطيع، يستمتع بالوقوف في الماء. يشعر بالرغبة في أن يتعرى ويسير بين الأمواج المتلاطمة، لكنه لا يجرؤ على القيام بذلك؛ جسده ليس جميلا إلى هذه الدرجة. يجد خشبة ويطوحها بعيدا، بعيدا جدا. ينشرح صدره عندما لا يعرف في أي شيء يفكر الآن، وعندما لا يذكره الزبد والرمل بأي إنسان. يريد الحاضر فقط. الخشبة تجرفها المياه على الرمال من جديد، يلتقطها مرة ثانية، ويطوح بها بعيدا مرة ثانية. يريد الرؤية فقط. على المياه قارب صغير لخفر السواحل. الساعة الثالثة ظهرا؛ مازال أمامه وقت طويل. عندما تلتف المياه حول ساقيه يشعر بالبرد، كاد مرة أن يختل توازنه. لا يلتقط الخشبة التي جرفتها المياه على الرمال من جديد. الخطوط الرفيعة في الرمال، محارة هنا وهناك. يشعر بالراحة. عندما عاد إلى الكرسيين يريها محارة، محارة كآلاف المحار. لين تستلقي على الكرسي؛ جسدها، الذي يعرفه، وعليه ثياب. يحتاج إلى أن يظل واقفا.

لن تتعرف لين على نوباته الهستيرية.

ذات أمسية في برلين، لما لم أستطع إقناعها (وهو ما أصبح القاعدة في السنوات الأخيرة) وعندما لم أتحمل أن يقاطعني المرء بمجرد أن أفتح فمي، وحينما لاحظت أنني لا أقنع نفسي، ذهبت إلى المطبخ وأحضرت صندوق القمامة، ثم جلست إلى مكتبي ثانية، ووضعت الصندوق فوق رأسي قائلا:

- من فضلك. واصلي التحدث!

ترقد على الكرسي وقد دهنت وجهها، وأيضا رقبتها، ثم وضعت نظارتها الداكنة ثانية على عينيها وقالت: I am sleepy ، لأنه لا يقول في أي شيء يفكر. إنها لم تنم بالطبع. فالضوء هنا ساطع جدا. كان قد انتهى من إفراغ الغليون، أخذ يفكر: حُك الغليون جيدا، دق عليه مرة أخرى لإفراغه، ثم انفخ فيه ثانية (ربما يكون بداخله رمل) وعندئذ، وبدلا من أن تتحدث والغليون في يدك، ضعه خاليا بين الأسنان، الغليون، حتى تجد التبغ، ثم قم بحشو الغليون بالإبهام الأيمن بتأنٍ يملأ اللحظات، لحظات بلا ذاكرة، وعند ذلك ضع الغليون المحشو في الفم بطريقة لا تجعل الكلام مستحيلا، ولكن غير لائق، ثم انظر ناحية البحر بينما تشعل عود ثقاب، ثم عودا ثانيا، ثم ثالثا، الرياح شديدة على البحر، ثم اسحب بتأنٍ أول نفس، نفسا قصيرا، ثم نفسا ثانيا، طويلا، إلى أن تعي اللحظة تماما. ليس سواهما الآن على الكرسيين اللذين لم يضبطا ارتفاعهما، لأنهما لا يمتلكانهما. هناك كلب يهيم على وجهه. لين تقرأ: أوراق خاصة بعملها في المكتب إذ إنها انصرفت بالأمس قبل الثالثة، وبين الحين والآخر تتوقف عن القراءة، في هذه اللحظة تمشط شعرها الطويل ضد اتجاه الريح، مشروع فاشل، جميل النظر إليها. ثم تمر طائرة شراعية حمراء على ارتفاع منخفض، وكأنها تنوي الهبوط الآن، تطير عبر الساحل الخالي كله، ثم تختفي . . . يتحدث الآن عن ميكونوس، الجزيرة اليونانية ذات البيوت البيضاء وطواحين الهواء البيضاء. ويحكي عن القارب الصغير ذي المحرك الذي أقلنا إلى ديلوس، كيف كان يقفز بنا في الأمواج، ورذاذ الماء يتطاير داخل القارب. ولكن من أقل القارب إلى ديلوس؟ ولا كلمة

عن المرأة التي تعيش اليوم وحيدة إلى حد ما. ولا كلمة عن ست سنوات بلا خصام، بلا غيرة، بلا حرب أعصاب؛ لم يسكنا معا - ميكونوس، لا، لن تصل لين إلى هناك في هذا الصيف . . . ذات مرة يحدثها عن روما، المدينة، عما شاهده وسمعه خلال خمسة أعوام. ، تعرف لين أن روما لا بد أن تكون جميلة. لا يتحدث عن أبشع أنواع الموت.

لين ترغب في الجري الآن.

هو يبقى هنا.

الحاضر حتى الثلاثاء.

جسمها العاري جسم بنت صغيرة، وجهها أكبر قليلا. تغمض عينيها عندما تدرك أن أحدا يرى ثدييها لأول مرة، وتقول: They are very small . كان المساء الذي أرادت فيه إحضار حقيبتها من الفندق. We can't make love، قالت، not tonight. سبب موضوعي. الطريقة التي فرشت بها سريرها لأول مرة، بعد أن نزعت الغطاء عن الكنبة: خبرة مع الرجال، ربما ليس مع كثيرين. تتعرى، الفستان ثم الملابس الداخلية: بتمهل. تحرر شعرها من المشبك، تجلس كأنها وحدها، كأنها ذاهبة إلى فراشها كالمعتاد؛ إنها تعرف نفسها وهي عارية. لكنها تصمت وهي تمشط شعرها؛ ثم تهز رأسها مطلقةً شعرها حرا، ربما كما تفعل دائما. ليس عندها ستارة، ولا حاجة لها في هذه الشقة ذات النافذتين المزودتين بالقضبان، والمطلين على سور قريب. وماذا عن النور؟ هي لا تنظر تجاه

الرجل الغريب، الذي لا يعرف أين زر النور في مطبخها حتى يطفئه، تقول له أين يجده. يأمل ألا ينزلق إلى تمثيل دور بعد أن كان الحديث بينهما صادقا. يمكن تبين جسمها بوضوح، إذ إن العتمة كانت محدودة، الضوء فوق المدينة، يمكن تبين وجهها بوضوح، ولكنه وجه آخر. مرة أخرى لا يجد كلمة إنجليزية. Your English is excellent، وتقصد بهذا: لا يمكن قول أكثر من هذا حتى بلغته، بينما الأجساد في انتظار التلاقي. تقول: Just relax. كل مرة أولى مع امرأة هي أول مرة؛ التعجب بلا تذكر. بعدها تظل عارية، لين في المطبخ الصغير، بينما يجلس هو - الضيف المرتدي ثيابه - إلى المائدة ويتحدث، الآن مبتهجا باللغة الأجنبية التي تمنحه الشعور بأنه يقول كل شيء لأول مرة. خلال ذلك يأكلان فراولة. لم يكن يقصد أنه يعرف لين بعد هذه الأيام والأمسيات: لين كحورية وإلى حد ما ممرضة. الآن يبدو له الأمر وكأن هرميس قد استبدلها؛ إنها امرأة أخرى بذات الشعر، حورية فقط، بالرغم أنها تتحدث الآن عن تربيتها المتزمتة. للأسف إنه الاثنين؛ يجب أن تنام بضعة ساعات. لابد من غسيل الأطباق في المساء. يساعدها؛ لا يستطيع أن يبقى جالسا إلى المائدة ويرى العارية تشتغل. عندما يقوم بتجفيف ما تغسله فإنها لا ترى الأمر بديهيا. مطبخها ضيق إذا وقف فيه شخصان ليس من المفروض أن يتلامسا؛ ولكنهما ينجحا في ذلك. لم يعد يتحدث. أين يضع الكؤوس؟ وأين يضع السكين؟ لا تريد أن تقول له ذلك، تشكره بالقبلات؛ سيكون الأمر عائليا جدا إذا عرف أين يضع كل شيء.

عصر طويل وهين:

حذاؤها في الرمال، لين ما زالت تعدو بعيدا، في هذه اللحظة لم يعد يستطيع رؤيتها إلا بصعوبة، هناك، حيث تجري الآن، يلمع البحر تحت الشمس ويعمي البصر. تجري عائدة، كما يبدو. ثم تتضح هيئتها: تجري في أقواس كالمتزحلقين على الجليد، من المرجح أنها تجري حول ألسنة الزبد التي يخلفها الموج، ذات مرة فردت ذراعيها كالجناحين. بدافع الرغبة.

DEJA VU:

22/ 9/ 1962 على البحر المتوسط. كيف كانت تسريحة شعرك: ملموم لأعلى، كل الشعر، الأذنان مكشوفتان، الرقبة لبنت صغيرة، عارية، وعندما تخلعين مشبك الشعر، شعر غزير طليق، شعر أسود.

يظل جالسا.

أثناء سيره في الشارع نهارا بين الزحام، أو في المصعد حيثما يرى المرء أشخاصا عن قرب، يحدث أن يجد نفسه مرغما على مقارنة لين مع أخريات من بنات الجنس الأنثوي، مقارنة شعرها مع شعر الأخريات، مقارنة وجهها - الذي يكاد ينمحي فجأة من ذاكرته - مع وجه الأخريات. وكأنه يختار بين الباريسيات! لا ينظر بتطفل، فقط بإمعان: منبت الشعر خلف الأذن، الصدغ، الرقبة، الشفاه، الأنف، الهيئة العامة، طريقة السير. ينظر حتى يفحص إذا كانت عواطفه بالفعل مقصورة على لين ... أم أنني أكذب علينا؟ ...

يظل جالسا مرسلا البصر بلا تحديد. لا يفتح الكتيب الذي يحمله في يده. صوت ارتطام الأمواج وطرطشة المياه قد لا يكون مزعجا عندما يقرأ المرء؛ ولا الطائرة الشراعية الصغيرة التي تطير عائدة بحذاء الشاطئ الطويل الخالي؛ ولا الكلب أيضا. كذلك يستطيع المرء رفع بصره من على الكتاب، وأن يقول لنفسه: فترة العصر على الأطلنطي، الساعة الآن تمام الرابعة والنصف وخمس دقائق بعد الظهر. الأدب يلغي اللحظة الحاضرة، لهذا تم اختراعه. للأدب زمن آخر، ثم موضوع يمس الجميع، أو كثيرين - وهو ما لا يستطيع المرء قوله عن حذائها في الرمل . . .

في العالم: في النور. أن تسوق الحمير (كالعجوز مؤخرا في كورنثوس) في مكان ما، مهنتنا! - ولكن في المقام الأول: مقاومة النور، الفرح بالمعرفة، أنني أنطفئ في النور فوق نبات الوزّال، أسفلت وبحر، مقاومة الزمن، أو الأبدية في اللحظة. أن تكون أبديا: أن تكون ماضيا.

الحياة في قول مأثور.

عندما تشعر البشرة بالرمل وهو يجف فوقها، بالشمس، بالريح، عندما تشعر البشرة والمخ أيضا بذلك، . . . لا ينسى دوره، ولا الارتباطات القادمة الناتجة عن هذا الدور؛ المواعيد، ولا حتى وضع العالم ينساه. عديدة هي الأشياء التي لا ينساها في هذا الحاضر الهش.

MONTE ALBAN:

واد عال، واسع وأجرد في المكسيك، وعند المساء يتلون باللون البنفسجي؛ في منتصف الوادي جبل، عرش طبيعي؛ فوقه أكروبوليس أهل زابوتيكا، معبد رحب ومتشعب وفق نظام هندسي صارم، ساحة بأسوار عالية للعبة الكرة المقدسة: المنتصر لا بد أن يموت، لأن الآلهة تختار خلال اللعبة الشخص الذي يستحق الوسام، وهكذا يُضحى به، بالمنتصر، للآلهة. هذا ما يقوله على الأقل كتيب بجانب يدي. الأمر مفزع، الأمر مقنع؛ شيء آخر يفعله شعب المايا يجعلني متحمسا، دون أن أفزع (هذا إذا صدق الكتاب): إنهم يقومون بين الحين والآخر بتهشيم كل الأواني والأطباق، وذلك حتى يصنعونها من جديد، الأواني والأطباق التي يستخدمونها يوميا؛ إنهم أيضا هجروا معابدهم بناءً على نصيحة الكهنة، حتى يواصلوا الترحال ويجددوا أنفسهم في الأدغال (YUCATAN, GUATEMALA)، لم يكونوا بحاجة إلى تدمير معابدهم القديمة حتى يبدءوا في مكان آخر؛ تركوا المعابد للأدغال (PALENQUE) وعوامل التعرية الطبيعية . . . ما قرأته وجعلني متحمسا قد يكون أيضا غير صحيح . . . MONTE ALBAN : هنا فوق سور قديم تجلس مَريانّه، من مواليد عام 1939، طالبة فلسفة، استولى عليها الذعر بسبب رجائي؛ لدي الشجاعة الكافية لتركها عندما أصبح أكبر منها بكثير. بعد عامين؟ ثلاثة أعوام؟ تتردد بحكمة. تسافر إلى روما وتتردد طوال الصيف. بعد ذلك بيت صيفي، ثم نسكن معا في شقة صغيرة في زيورخ، ثم شقة أخرى، شقة كبيرة، ورحلات معا، يستمر بنا الحال تسعة أعوام، أطول مما خطر لها على بال.

أنا لم أعش معك كمادة أدبية. أمنعك من أن تكتب عني.

عندما ينظر إليها وأقدامها تغوص الآن في الرمال، هناك، حيث الرمال جافة غير متماسكة، ويراها تسير أبطأ وبمشقة، منهكة قليلا من الجري الطويل، مطوحةً ذراعيها، لأنها لا تستطيع أن تطوح قدميها، مائلةً أحيانا إلى الأمام عندما تغوص قدم في الرمال، ثم ملقيةً بشعرها الأحمر مرة أخرى فوق هذا الكتف أو ذاك، فإنه ينظر إليها بإعجاب. لعلها تعرف ذلك؛ ترسل بصرها الآن في المكان. عندما تستلقي جواره على الكرسي فإنه يفكر في شيء آخر. عندما تصعد الدرج الخشبي في الفندق الخشبي، فإنه لا يتابعها ببصره، يتخيل كيف تحرك ذراعيها، رشاقة وخفة لا تخلو من مرح. لا يستطيع نسيانها، مثلا عندما يجتمع بإناس. ينظر إليها بإعجاب عندما تتناول الطعام؛ هذه الشهية غير النهمة للنحفاء. عندما لا تكون موجودة فإنه لا يستطيع تذكر ضحكتها إلا على وجه التقريب؛ يسمع ضحكتها التالية بإعجاب. في المدينة، عندما لا تكون قد رأته وتعبر الشارع، لين وسط المارة الكثيرين: الطريقة التي تحرك بها ذراعيها النحيفتين، كيف تتردد ثم تشق طرقها في الزحام، كيف تحرك رأسها. ليس عاشقا. يبتهج لرؤيتها. عندما تهبط الدرج الخشبي في الفندق الخشبي لا يفكر في الليل؛ إنه يتأمل بإعجاب قفزاتها فوق الدرج، ثم تعثرها (لولا وجود الترابزين الخشبي الذي أمسكت به في اللحظة الأخيرة لوقعت).

عصر طويل وهين.

آن له أن يعرف ذلك، فقد سمعه مرات عديدة: لين ولدت في

فلوريدا وليس في كاليفورنيا. دخلت المدرسة الثانوية في كاليفورنيا.
الزواج تم في سيدني - ترش بالرمال عندما يوجه سؤالا ليس من
المفروض أن يكرره. لا تعرف لين أين يعيش طليقها الآن. مازالت
ترش بالرمال؛ لا ترشه هو، وإنما هي تلهو فحسب. مستقبلها؟
ستتزوج ثانية، تقول لين، ولكن بحذر - وربما تنجب طفلا، في
. . . لا تحكي كثيرا، ولا هو أيضا، يتحدثان:

Do you believe

What do you think

مثلا عن ريتشارد نيكسون. لابد أن يُحاكم، تقول لين. الرياح
قوية، ربما يشعر بذلك لأنهما لا يطيلان التحدث في موضوع واحد
أبدا؛ ملأت الرياح حذاءها بالرمال. لا أعرف كيف عرج بالحديث
إلى بودلير، FLEURS DU MAL ، لين لا تعرف هذا الديوان.
للإجابة على سؤالها: أنا لم أنشر أي أشعار. يبقى حديثهما محصورا
في المواضيع العامة. مخدرات؟ كذلك لين، ليس لديها خبرة كبيرة
بها. لغته الإنجليزية متواضعة؛ أعرف بالطبع ما يود أن يقوله.
يحدث أنه لا يقوم بالترجمة، وإنما يقول بالإنجليزية ما لن يقوله
بلغته الأم، سواء بالفصحى أو بالعامية؛ يدهشني بطريقة تفكيره
وبالموضوعات التي يفكر فيها. استمتع بهذا؛ اللغة الأجنبية تفضح
رأيه الحقيقي. فجأة يضحك على أشياء لا يضحك عليها في
المعتاد. يبدو أن لين لا تجده مملا. يقول مثلا أنني لم أكن في
حياتي في بيت دعارة أبدا؛ ثم يضيف: لذلك فإنني لست سياسيا،
إذ إنني أستبطن كل شيء. إلا أنه لا يعرف الكلمة بالإنجليزية.

الاستبطان؟ لا بد من شرح ما يقصده، لين لا تفهم العلاقة، ولكنه يقنعني. Sexuality ، كما تنطق لين الكلمة، موضوع عام هنا. آراؤها حول ذلك: أتعجب منها. عندما بلغ الابن الخامسة والخمسين قالت أمه بنبرة لا تخلو من صرامة: لا تكتب دائما عن النساء، لأنك لا تفهمهن. لا يذكر هذا للين. لا تعرف لين سويسرا. يوفر عليه ذلك خطب تصيبني بالملل. ما رأيه في المحللين النفسيين؟ لا يمكن القول إنه تعرف شخصيا إلى ك. ج. يونج؛ لقد استمع فقط إلى محاضراته. لا بد أن ذلك - تستطيع لين حساب السنوات - كان منذ سنوات طويلة. لعله كان من الأفضل ألا يتحدث حول ذلك. في المدرسة الثانوية حصلت لين على جوائز في رمي الرمح، في سيدني مارست الفروسية. يعتقد اعتقادا راسخا أنهم أسقطوا أليندا في شيلي بدعم أمريكي، يدعي ذلك ولا يستطيع الإثبات. الشيوعية والرأسمالية؛ محاولته الطويلة لكي يشرح الفارق بين الاتحاد السوفيتي والاشتراكية -

إلخ . . .

ربما لأن اللغة الإنجليزية وحدها هي وسيلة التخاطب بينه وبين لين، مما يجعله بدافع الكسل لا يبوح بهذا الشيء أو ذاك مما قد يبوح به بلغته، فإنه يخطر على باله أثناء حضورها أشياء ما كانت تخطر له على بال لو كان يستطيع البوح بها؛ هناك فرق بين أن تصمت بلغة أجنبية، وبين أن تصمت بلغتك أنت: صامتا بلغة أجنبية فإنني أكبت أفكارا أقل، من الذاكرة تنفذ أفكار أكثر . . . حضرت مرتين عملية ولادة؛ بناء على رغبة زوجتي. لم أكتب عن ذلك أبدا. رغبت زوجتي في ألا أكتب عن ذلك. لم أتحدث عن ذلك أيضا،

كما أعتقد. إنني أراها فقط. مر على ذلك وقت طويل.

ما أكثر ما لم يصفه:

أربع مرات إجهاض لدى ثلاثة نساء أحببتهم. ثلاثة مرات دون شك في صحة قرارنا. لم يخل الأمر أبدا من الرعب. دور الرجل في ذلك، الذي يقوم عندئذ بدفع أتعاب الطبيب. مرة: لأنني متزوج، وهي ترغب في الزواج من صديقي. ذات مرة سبب آخر: لقد فات ميعاد ذلك بالنسبة لنا. بقينا أصدقاء. مرة أخرى كان خطأ؛ خطيئة، كما اعتقدت بعد ذلك، خطيئتي. لم أكن شجاعا لأطلب الطفل؛ أراها غير مترددة (وإن كان الخوف بالطبع يملؤها) وأشعر بالتأثر. فقط أكرر السؤال: أنت فعلا لا تريدينه؟ تعرف أنني أود أن نظل معا. إنجاب الأطفال لم يكن من أمنياتي الملحة عندما كنت شابا؛ ولكن مجرد خبر حمل طفل كان يسرني: من أجل خاطر المرأة. في السنوات التالية يتغير الأمر، ولكنني لا أفصح عن رغبتي بوضوح كاف، لا أجرؤ، لأنني أرى الحبيبة غير مترددة. ثم أقف في شارع ليلي بعد أن سألتها مرة أخرى، وأنتظر أن تشفق علي. كل شيء آخر سيكون ابتزازا. مر على ذلك أيضا وقت طويل. الابتزاز كان من الأصوب (في هذه الحالة). مرة نصح الطبيب بالإجهاض ضد رغبتنا.

How do you know

تسأله لين، لأنه يدعي أن الغيوم من ذلك النوع لا تعني شيئا على الإطلاق، وأن الغد (الأحد) سيكون أيضا صحوا. يستلقيان على الكرسيين اللذين لم يحركاهما، المسافة الفاصلة بينهما أكبر من

ذراع. من وضعهما هنا، هذين الكرسيين في مكان ما على شاطئ خال مترامي الأطراف؟ لا أحد سواه يمكنه أن يفعل ذلك: هرميس. إنه مسرور لوجود لين. كان سيشعر بالخلاء الفظيع للمكان دون هذه الشابة الغريبة، البحر واليابسة بالكثبان والريح. لا يستطيع الجلوس هنا طويلا، لا بد أن يذهب. بلا هدف. الرمل كأنه على جزيرة زولت (1949) وزرقة البحر كما في شاطئ سبيرلونجا (1962) والذكرى. حتى عندما لا ينظر تجاهها: إنها تصنع الحاضر، جسدها على الكرسي الآخر. لا تعرف فيما يفكر، لا يعرف فيما تفكر. لا يشعر بالاحتياج إلى لمس جسدها. يود بالأحرى أن يرسمه. (أتقن السم إلى حد ما، ولكنني لم أمارسه منذ مدة طويلة. يزعجني أن الأمر يصبح دائما مجرد سرقة فنية، سرقة رخيصة ؛ عندما أرسم أفقد ما أرى.) أسندت رأسها إلى الخلف، وجهها ينظر إلى الاتجاه الآخر، بلوزتها مفتوحة قليلا، يداها على البنطلون فوق حجرها، وركبتها مشدودة إلى أعلى؛ بشرة قدميها وبطن ساقها شاحبة. تستسلم للشمس. يجلس مستقيما، قدماه في الرمل، يرسل بصره في الغالب إلى البحر وقت الأصيل. صوت مكتوم يأتي من الأعماق يتخلله هدير الأمواج. ليست نائمة. الرياح شديدة. استقام رأسها وأخذت تنظر في اتجاه ما. ضحكت عندما لاحظت أنه يراقبها.

My life as a man:

عندما أرى مصادفة أم أولادي، في قاعة كونسير مثلا: وجهها، حييا يبوح بالهم الذي كان دائما هناك، وجه طيب أصبح في السنوات الأخيرة أكثر إشراقا، ولكن إلى الأبد وجه مفعم بالبراءة

المطعونة - فإنني أشعر بوخزة في قلبي؛ أنظر إليها بكل احترام، وبتعجب أنني والد أطفالها الثلاثة.

لأنك لا تفهمهن.

الأم، 88 عاما، في روما - تريد رؤية كل شيء، فهي لأول مرة في روما، لم تكن تشعر بملل أو كلل. تسجل لنفسها كل ما تراه يوما بعد يوم، تنتهي كراستها بجملة: **روما - كان وقتا بالغ الغرابة؛** مكتوبة بخط عتيق مزخرف. بعدها بثلاث سنوات، في بيت المسنين بإحدى المدن، تريد الموت، تريده، بتصميم، وهكذا جاء الأطباء بتلك الحقن. رقد في غرفتها ثلاث نسوة أخريات يبدون أحيانا عند الدخول إلى الغرفة كالمحتضرات: بفم مفتوح. بلا حشرجة. بلا أي حراك. أحيانا تكون مضطربة (لأنني عائد لتوي من أوديسا حيث كانت تقطف وهي فتاة صغيرة، 1901، أزهار الكَبَر)، ثم يصفو ذهنها: سأموت الآن، تقول، أشكركم. ولكن ذلك يستغرق نصف عام. يشرح لي الطبيب الذي نقلت له رغبتها لماذا سيكون موتها معذبا لها دون حقنة: الموت خنقا. عدت لزيارتها ذات مرة فقادوني إلى الغرفة التي تحتضر فيها. ثلاثة أيام وثلاث ليل ونحن نتبادل البقاء معها: أخي وأختي - التي ليست ابنتها - وأنا. بين الحين والآخر قد يستطيع المرء تبادل كلمة معها. ما يشغلها: ما إذا كان أحد سوف يهتم بحالة جواكتي. يشغل بالها أيضا أننا نضيع وقتا طويلا بهذه الزيارات. حتى ذلك الحين لم أكن قد حضرت أبدا وفاة شخص. أحيانا تبدو وكأنها ميتة. وعندما يحدثها شخص تتعجب لأننا مازلنا موجودين. هناك قس تحت الطلب. أعرف كيف كانت

غاضبة بسبب عظته في عيد ميلاد المسيح؛ ينسبون إليه القول: نأمل إذن أن نحتفل بعيد الميلاد القادم معا أيضا. لأنهم يقولون إن الناس في ساعاتهم الأخيرة غالبا ما يغيرون تفكيرهم، فإنني أسألها ما إذا كانت تريد رؤية القس. كانت مستيقظة، فهمت السؤال، وأخذت تفكر، ثم تسألت: لماذا؟ عندما ودعتها في مرة أخرى قلت لها: أنت امرأة جميلة. لم تجد هذا التصريح في غير محله، لذا تساءلت: لماذا إذن لا تأخذ صورة؟ لا يلاحظ الطبيب أيضا أي تغير في حالتها. ذات مرة لا أحضر لزيارتها في المساء لأن زميلا لي يقرأ من روايته الجديدة في بيت الحرفيين «تسور مايزه» (زيورخ)، كان علي أن أقدمه بكلمات لطيفة. ليس أمرا صعبا، ومع ذلك كنت أرتعش من مواجهة الحاضرين. انتهت الليلة بحالة سكر بين الزملاء؛ في الصباح التالي، لما قرأت البرقية، لم تسمح حالتي أن أظهر أمام متوفاة . . .

Happy

هذه هي الكلمة بالضبط:

Fun

أن ترى ما هو كائن الآن:

MONTAUK BEACH

لم أقم أبدا بمحاولة جدية لإنهاء حياتي؛ ولا حتى بمحاولة غير جدية. فقط فكرت في ذلك كثيرا، في كل مرحلة من مراحل العمر.

مثل خبير ألمح في كل مكان الفرص العملية المتاحة. أرى عمودا خشبيا يصلح لذلك. في الأبراج السكنية تخطر الفكرة على بال كل إنسان تقريبا؛ المهمة تبدو هنا بسيطة وأكيدة المفعول. ليس لدي مسدس في المنزل، لأنني لست على الدوام رزينا، والانتحار يجب أن يكون فعلا رزينا. عاينت مرة شارعا جبليا، وأعرف ثلاثة مواضع على الأقل لا وجود فيها لحاجز قد يمنع المنتحر رغما عنه؛ بخاصة في الضباب من الممكن أن يبدو الأمر هناك كأنه حادث. ليس من النادر أن أشعر بالاستعداد لذلك، استعداد عقلاني بلا مسبب مباشر.

لين:

تحدثت عن عملها، تعمل بالقطعة، استمع لها، كلا، بلا أدنى تشتت؛ إذا استعصى عليه فهم شيء فإنه غالبا يسألها. يسهُل عليه فهمها عندما ينظر إلى حركة شفاهها. قرَأَت كتابا عن الدلافين؛ تعرف لين عن الدلافين أكثر منه. ثم يحدث مرة أخرى أن يقف الكلام بينهما فجأة - مقابلاتهما أثناء النهار: ليست مملة، فقط أرى الاثنين من الخارج: لن يتعرف أحدهما على الآخر . . . مازالا على الشاطئ، لعل الموج يقترب الآن أكثر منه قبل ساعتين، لا أقوى ولا أضعف. مازالت الشمس في كبد السماء. لطيف الجو الآن، أقل حرارة. يظهر البحر - خلف زبد الأمواج الأبيض الذي ينكسر قبل الوصول إلى الشاطئ - وكأنه حبر أزرق داكن. صوت الأمواج الذي لا ينقطع. شبك يديه تحت عنقه حتى يرفع الرأس قليلا، حتى يتبين ملامح الأفق؛ إنه ليس صامتا، هو فقط لا يتحدث عما يؤثر فيه. ليست مأساة. كل شيء مفهوم، بل بديهي. وصحيح. لقد توقع ما

حدث، كل شخص توقع ما حدث. لا يتبقى سوى أن يقبل الأمر الآن. بلا شكوى. وهو ما يستطيعه المرء؛ بيدين مشبكتين تحت العنق، لرفع الرأس قليلا -

في مَن تفكر لين؟

مؤخرا ضاعت منها سلسلتها. لحسن الحظ فإن الفتيات السود اللاتي ينظفن الغرفة في ذلك الفندق لا يمسحن الأرضية تحت الفراش. لا يعرف للوهلة الأولى لماذا تعتبر السلسلة، الذهبية، لا تعوض. عندما وجدها - ليس في ركن تعليق الملابس، ليس على الطاولة ولا على الأريكة الصفراء - اتصل بها فورا في المكتب. تنفُسِها الصعداء على السماعة. "ليس ذلك هو المكان الذي تفقد فيه السلسلة . . . على العشاء تظهر لين بفستان آخر لا يعجبه كثيرا؛ وبنظارتها الرقيقة مرة أخرى. شعرها معقود. أخذت خادمة المطعم، التي لم ترد تحيته، تصب الماء مع قطع الثلج في الكأسين. الناس حواليهما: من ذوي الدخل المرتفع، قمصان بأكمام، نفر قليل من الشباب. (تقول لين: too expensive) الكثرة من الزوجات والأزواج المتقدمين في السن والخبرة، سنوات طويلة مرت عليهما معا، بالكاد يتبادلون كلمة؛ ومن العائلات العالية الصوت وكأنها في البيت. غروب الشمس للجميع. مدعوو عرس. أيضا لين وهو يمكنهما أن يصمتا بعض الوقت. محدود هو عدد الأشخاص الذين يعرفانهما معا. النميمة من شبه المستحيل. طلبا سرطان البحر. كيف يتعامل المرء مع الأطراف الشبيهة بالكماشة؟ لين تفترض أنه سيريها ذلك. تبالغ في تقديره. بعض صفاته الشخصية تثير عجبها، يلاحظ ذلك.

عندما بدأ في الحديث (قبل وصول النبيذ) افترضت هي أن ما يقوله قد يهمها، لذا لم تقاطعه بعد أول جملة. الآن يتذوق النبيذ، ويومئ برأسه. له في ذلك بعض الخبرة. لا يلاحظ ما إذا كانت تقاطعه، وكم مرة تفعل. تم فصل أول مقص من مقصات السرطان، لين تستطيع ذلك أفضل منه. عندما تسأله عن رأيه في شيء ما فإنه يبدو عليها أنها لا تستبعد أن يقنعها شرح مسهب من جانبه (وبإنجليزيته). يقول أشياء تفاجئه. يجعله ذلك مرحا. يخفف عنه أيضا استعداده للتعلم. على فكرة، يشربان قليلا. تغرز لين شوكتها في سرطانها، لكن ليس لأنها لا تريد أن تصغي إليه. بالطبع لا يهمها كل ما يخطر على باله (مثلا عن فن العمارة). ليس في السرطان الكثير ليؤكل كما قد يعتقد المرء في البداية؛ الغشاء الأحمر على الطبق، منظر جميل. لين مستعدة الآن لتناول الحلو. إذا اتفقا على شيء يشعران بالبهجة؛ لا تفوح في الجو رائحة تلك الاتفاقات الحامضة العاقلة، بل يواصلان الحديث، بالرغم من اتفاقهما. الخادمة الشابة، ربما طالبة، تعاملهما على المائدة معاملة خاصة، وكأنها تشارك في احتفال ما. لا يتبادلان على المائدة القبل أو اللمسات الرقيقة؛ فقط رجل وامرأة لا يشي وجههما بالنفور المكبوت، بلا تلك النظرات القصيرة التي لا ينبغي على الآخر أن يلحظها عندما تُسدَد إليه من الجانب، تلك النظرات، عندما يفتضح الأمر بينهما، شعورهما العميق بالشكر، دون رضى.

CENTRAL PARK

مثل اليوم قبل أسبوع: - لا يستلقيان على النجيل محتضنين

بعضهما البعض مثل الثنائيات الأخرى، بل يجلسان. لو لم يكن على لين أن تعمل لسافرا إلى البحر؛ لين تعرف أين تقع الأماكن الجميلة: مونتوك. تثق بعض الثقة في أن الطقس جميل على البحر، لذا يتشجع ويقترح السفر نهاية الأسبوع القادم، أخر أسبوع له هنا. لا يرتبطان بوعد، بل يفكران في الأمر. يجلس بينما تستلقي لين فوق النجيل بجانبه. أخذت تلعن شركتها لأنها يجب أن تعمل مع أن اليوم الأحد. أحد مشمس؛ الحديقة العامة تكتظ بناس يرتدون ثيابا ملونة، لم يعد هناك هيبيز. حينما نهضا وسارا، لأن الوقت قد حان بالنسبة إلى لين، فإن لين هي التي شبكت ذراعها في ذراعه؛ يشاهدان معا – متعانقي الأذرع – كلبَ بحر أسود، ذلك الحيوان الذي ليست له أذرع، وهو يتمرغ ويلمع فوق صخرة اصطناعية سطعت الشمس فوقها. رائحة سميط محروق يُباع هنا. يواصلان السير ويتفرجان: صبية تلعب البيسبول، بينهم سود كثيرون، هنا وهناك أب يُطيّر طيارة ورقية ملونة لأطفاله، القوارب الصفيحية على البحيرة الصغيرة بين صخور مانهاتن السوداء . . . قبل عامين (بالضبط في هذا الفصل من العام، فقط كانت الأفرع أكثر اخضرارا) وقفت هنا أمام كاميرات التليفزيون الألماني؛ المصورون – الذين كانوا يبحثون عن شخصيتي على طبيعتها – كانوا سعداء بوجود ياكوف ليند الذي أطلق الضحكات من فمي. لم ترغب مَريانّه أن تظهر في الصورة؛ عندما حاول المصور خداعها اعترضتُ؛ كنت أفهم أن مَريانّه لا تريد الظهور معي. دارت الأسئلة (كالمعتاد) حول علاقة الكاتب بالمجتمع.

My life as a man:

أحيانا يبدو لي أنني أفهمهن، النساء، وفي البداية يعجبهم اختراعي، أنني أضع نموذجا لتحليل شخصيتهن؛ على الأقل يتعجبن عندما أرى فيهن ما لم يره السابقون. هذه هي طريقتي عموما في كسبهن. **لم أستطع أبدا التحدث مع رجل مثلما تحدثت معك،** سمعت هذه الجملة أكثر من مرة في مواقف الوداع. التملق يستطيعه كل شخص، لست بحاجة إلى ذلك؛ ولكن يداعب غرورهن عندما يرونني أبذل جهدا قهريا لاكتشافهن. لفترة من الوقت يقنعهن ما أقوله عنهن؛ لا أرى النساء ككائنات بسيطة، بل كائنات تفيض تناقضا. **لم يسبق لأحد أن قال لي هذا،** هكذا يقلن، **ولكن ربما تكون على صواب.** تحليلي لهن ذو طابع قاهر. ككل نبوءة. أتعجب أنا نفسي من سلوكهن الذي يؤكد ما خمنته. بالطبع لا أستخدم نفس النموذج لتحليل كل امرأة. لا يهدأ لي بال حتى أعرف مَن أحب. أتحاشى أن أطبق الخبرات التي اكتسبتها مع رفيقة على رفيقة أخرى. أما إذا انزلقت إلى ذلك سهواً، فإنني أعرف أني على خطأ. إذا تكررت سلوكيات مشابهة معي، وغالبا بكل حذافيرها، فإن السبب لابد أن يكمن في أنا. مع أن الخيال - هكذا أعتقد - لا ينقصني؛ أنا أخترع لكل رفيقة أزمة أخرى معي. مثلاً، أن تكون هي الأقوى، أو أكون أنا الأقوى. يتصرفن وفقا لذلك - على الأقل أثناء حضوري. عندما أراهن يعانين، فإنني أقول تحت أي شيء يعانين، أو ربما لا أقول ذلك، لكنني أعتقد أنني أعرف السبب. من وحي جنوني. إنه لا يتركني؛ كل ما يناسب تحليلي أستمده من ملاحظاتي. إنني أرى ما يحدث، أسمعه، وإذا كنت غير حاضر فإنني أستطيع أن أتخيل ما يحدث تقريبا. لابد أن أتخيل ذلك؛ ليس

على وجه التقريب، بل بدقة. بالطبع أشك في صحة تخيلي الدقيق. **هذا تحليلك أنت**، يقلن؛ هن لسن بحاجة إلى تحليل. يتساوى الأمر، أكان ما أنسجه حول الحبيبة يعذبني أو يبهجني؛ المهم أن يقنعني. ليست النساء هن اللاتي يضللنني؛ أفعل ذلك بنفسي.

Max, did you love your mother?

نعم.

You did not like your father?

هزة أكتاف.

Why not?

لم يشغله الأمر كثيرا حتى الآن.

You are very fond of your children?

لم يعودوا أطفالا، كلهم أصبحوا بالغين، كبالغين يختلفون بالطبع عن البالغين الآخرين؛ يشق عليهم أن ينسوا أنه أبوهم، وهو لا يعلم بالضبط ما الذي يفعله المرء حتى يظل أبا لبالغين . . . من الواضح أن ما يخلط الأمور على لين هو هذا العرس:

Did you get a wedding like that?

ليس في المرة الثانية . . . CASA COMMUNALE، حيث أيضا الفصل الدراسي لتلاميذ القرية، إيل سينداكو الذي يعمل لاصقا

لورق الحائط هو الذي قرأ الوعد البسيط بالزواج الذي ألفه بنفسه وكتبه بعناية، لاصق ورق وأديب شهدا على الزواج، عدد المدعوين لم يتجاوز السبعة من الأصدقاء؛ وقع الاثنان على طاولة خشنة بلا آمال خادعة، AGURI, AGURI, AGURI, AGURI، ثم دخل الجميع إلى بيتنا (منذ ثلاث سنوات ونحن نسكن فيه معا) لتناول مشروب مع أشخاص من القرية.

Max, are you jealous?

سؤالها مع طبق الحلو. اليوم السبت، ويوم الثلاثاء سيطير؛ ومازالت لين تريد كشف عيوبه. على فكرة، اتفقا على عدم التراسل؛ فقط كارت يوم 11/ 5/ 1975، إذا لم ينس الاثنان. سؤالها إذن كأحد أسئلة استطلاع الرأي:

Are you jealous? And in case you are: could you kill a person? And if so: Her or him? And if not -

كتب بغزارة عن الغيرة. من أجل ذلك وحده حرمها على نفسه. كل شكل من أشكال الغيرة في السنوات الأخيرة. لن تكون خبرة جديدة بالنسبة إليه إذا استمالته الغيرة مرة أخرى؛ لقد استنفد الموضوع ككاتب، لن يكتشف شيئا جديدا. يمل مما كتبه حول ذلك، تلك الحكاية في فينسيا التي يرد فيها ذكر قماش الفستان الذي لونه كاللحم . . . إلخ. ليس هو بالكاتب ذي الخيال الواسع، هذا صحيح. لذا فإنه لا يسمح لنفسه أبدا بمشاعر معينة – مخافةً أن يصفها عدة مرات كمشاعر شخصية من شخوصه. هذه هي فائدة

الكتابة (من ذلك النوع) بالنسبة إلى الكاتب كفرد؛ عليه أن يتغلب بطريقة أخرى على أفعال معينة تتكرر في حياته - حتى يظل كاتبا . . . طاولة البنج بونج خالية هذا المساء. كان على لين أن تخلع جاكتها الوبري أولا، ثم أن تشمر أيضا أكمام بلوزتها؛ يشعر الآن بفائدة امتلاكه لطاولة بنج بونج في بيته، وراء الأطلسي. لين أسرع، لكنها لا تصد الكرة، وتغضب عندما لا تستطيع صد كرة مردودة؛ غضبها يساعده. في نفس الوقت يسرها أن الماتش ساخن. صوت ارتطام الكرة - تيك تاك - في الغرفة الصلعاء يبعث على المرح. ما يصعب عليه في بلده، يتمكن منه هنا بصورة شبه دائمة: الكرات القادمة، الطويلة، يصطادها عندما تهبط ثانية، غالبا تحت مستوى الطاولة. يُتاح للمرء عندئذ وقت أطول، ولا يكلف الأمر نقاطا، عندما يكون، وهو البدين، أقل سرعة. بالطبع تستغل الفرصة في كل مرة تقريبا، وترسل الكرة قصيرة خلف الشبكة تماما، إلا أنها لا تنجح كثيرا في تسجيل نقطة لأن كراته قوية. قميصه، الأبيض، الأفضل بين الاثنين اللذين أحضرهما معه لنهاية الأسبوع، امتلأ عرقا، إذ إنه ينحني في كل مرة تتدحرج فيها الكرة تحت صندوق. لم تتوقع لين أن تخسر أول مباراة، ثم التالية. لم يُحسم الأمر بعد. قبلها لا بد أن تعقد لين شعرها من جديد، وأن تضع مضربها الأزرق على الطاولة، حتى تتحرر يداها وتربط شعرها؛ يصمتان أثناء ذلك . . . قيل عنه إنه كان كثيرا ما يتكلم وكأنه يعرف كل شيء. لم يسأل: أين كنت؟ تعصر له برتقالا قبل أن تغادر البيت. تميل إليه. منع نفسه عن السؤال والاستقصاء؛ يحبها. بين الحين والآخر يمزح معها حتى لا يأخذ شكه مأخذ الجد؛ يستسهل الأمر على نفسه. هذا

يُسهّل الخداع اليومي؛ ليس من اللازم أن يكذب المرء كثيرا، الصمت يكفي. على فكرة، يعرف الرجل الآخر ويقدره جدا. إذا كان هناك حب آخر - هكذا يفكر - فسوف يُخبر بذلك إن آجلا أو عاجلا. آنذاك كانت في غاية السعادة، هذا واضح لكل إنسان، له أيضا. ما يجعل الأمر صعبا على المرأة: إنه يأتي دائما بخطة لرحلة مشتركة، محاولا استمالتها وهو يجهل الموقف. لماذا لا يسأل بلا لف أو دوران؟ تقول لنفسها: إنه لا يريد أن يعرف بالأمر. ينظر إلى الصديق في عينيه ويرى أن الصديق يقدره؛ هذا صحيح أيضا. شيئا فشيئا يتخلى عن كل شكوكه. إنه خطؤه، ليس رجلا رقيقا ذلك الذي لا يلاحظ أن امرأته عائدة من فراش آخر. لا يلاحظ سوى أن عمله لم يعد يثير اهتمامها إلا قليلا. يقبل دعوة لإلقاء محاضرة في أوستين كي يرى أمريكا الأخرى، تكساس ونيو أورليانز؛ لا يمكن التغلب على خوفها من الطيران، وهكذا يسافر وحده. يعطيه الصديق عناوين ناس طيبين في تكساس. مرة أخرى يستولي عليهما الاقتناع بأنه يعرف، ويحترمونه لسلوكه السامي. يعود مبكرا من رحلته، ولكن بعد أن يخبرها، ويُستقبل بحرارة. في الصيف، في بلده بأوربا، يشاركها حماسها لنيويورك؛ وتسعد عندما يُظهر استعداده بأن يقضي شتاء ثانيا في نيويورك. نيويورك مهمة بالنسبة لدراساتها، لدرجة أنها تتغلب على خوفها من الطيران وتسافر قبله بشهر، إذ إنه مازال لديه التزامات في أوربا. رسائلها مكتوبة بتحمس، ببهجة وحب. بعد هبوط طائرته بقليل يسمع حكاية الوفية: واحد اسمه جاك، لا يعرفه بعد، حاول إغراءها، بل اغتصابها، حتى أنها كان لابد أن تتصل تلفونيا بأصدقاء كي يخرجوا هذا الجاك السكران من

غرفتها. يشاركها في عملها، لكنها بحاجة إلى مساعدين آخرين، يتفهم ذلك؛ فإنجليزيته لا تسعفه. ما عادوا يتقابلون رباعا: هي وهو والصديق وزوجته الشابة التي بات من الصعب التعامل معها. ماذا يلاحظ سوى ذلك؟ يلاحظ أنه لم يعد يستطيع إقناع زوجته إلا بصعوبة، أيا كان الموضوع؛ طيلة الوقت وهي تعلم أنه يجهل، طيلة الوقت، حقيقة الموقف. كيف لها أن تصدق أنه لا يخطئ في كل شيء إذن؟ يلاحظ أنه كلما تمسك بأنه على حق، كلما زادت أخطاؤه بالفعل. شتاء سيئ. ما هو ذنبها حيال شعوره بالقلق وعدم الثقة في عمله؟ مرة أخرى يجلس مع الضيوف (هي تطبخ) ويتحدث بلا روية في حضور صديقها الصامت، ولا يلاحظ أنه لن يتحدث بهذه الطريقة إذا كان يعرف حقيقة الموقف. نظرتها الجانبية ليست نظرة لوم، كما يعتقد، ولا تخلو من المحبة، فقط نظرة عاجزة. ولا يقنع الآخرين. ليس السبب لغته الإنجليزية. إنه لا يقنع نفسه. تتمنى لـه النجاح في باريس، THEATRE NATIONAL DE L'ODEON، لديه من الأسباب ما يجعله فخورا، بدلا من ذلك يضايقه مرة أخرى خوفها من الطيران، نوع من الخوف من الأماكن المغلقة، ولذلك لا تستطيع أن ترافقه إلى باريس. لا يعرف ماذا حدث له. الطبيب، الذي نصح به الصديق، لا يجد شيئا على الإطلاق. هل يبالغ في تقدير ذاته؟ ينتظر احتراما. يثير سخرية الآخرين بالذات لأنه - فجأة - يعتقد من جديد أنهم لا يأخذونه مأخذ الجد. هذا مؤلم أيضا للصديق الذي يكن للآخر التقدير. يقف ذات مرة، الصديق، ويسير إلى الباب، ويذهب إلى غير رجعة. يأمل ألا يحدث له شيء في الشوارع الليلة، إذ عليهم عندئذ أن

يعتنوا به. ثم يتبين أن للصديق الآن شقة ثانية، شقة صغيرة، لأنه لا يستطيع أن يعمل بهدوء في بيت الزوجية، وهناك يجلس على السرير: Sorry، يقول، I am drunk. شيء من الممكن حدوثه. في مرة أخرى أحضر تورتة عيد الميلاد وعليها 33 شمعة، ثم ركع مازحا كالفارس أمام زوجته في حضور الآخرين؛ ولم تكن هذه هي أيضا اللحظة المناسبة لإخباره - تفعل ذلك بعدها بعام (1973) خلال حديث على مائدة حجرية. ليس اعترافا؛ حديث حول تحقيق المرأة لذاتها. تذكر الأمر عرضا. لا يسقط من فوق حصانه كالفارس أمام البحيرة، وإنما يذهب إلى العمل؛ مراسلات مهنية. حكاية طبيعية. ليس هناك الكثير مما يقال حول ذلك. استمرت القصة عاما كاملا، قصة حب كبير؛ كانا يودان الحياة معا. لمَ لمْ تستطع قول ذلك؟ إنه الآن يفهم السبب: لم يعرفا إذا كان سيتفهم الأمر؛ لم يقدم ضمانا أنه - ابن الستين - لن ينتحر بإطلاق الرصاص، أو بسم أو شنق نفسه . . . والآن: تناولت لين المضرب الأزرق، سيواصلان اللعب. ماذا يمكن أن يفعلا غير ذلك؟ لم تبلغ بعد العاشرة مساءً. الأمواج ترتطم بالشاطئ تحت كشافات الضوء. غدا ستمطر.

لين تربح 5/ 3.

(بعد شهر تقريبا من ماتش البنج بونج هذا وقعت بالفعل من فوق الحصان - أسبُ يورج الذي أنقذ مرة، عام 1972، عملا لي استغرق ستة أعوام، أنقذه من التشويه الكامل؛ أي أنه صديق. أخذت أذرع الغرفة جيئة وذهابا، وأضحك: الأحاديث بيني وبينه، أحاديث رجال، بينما كان يعلم ما لا أعرفه عن زوجتي. معذرة!

أسحب ما قلته أثناء سورة غضبي. ولكن إلى أين بغضبي؟ أيضا ليس صحيحا: لم تكن هي التي باحت له، كثيرون كانوا يتحدثون، وهو - كصديق - سألها إذا كنت على علم. عليّ أن أفهم: موقفها المحرج. أكان عليه إذن أن يخون ثقتها، وهو الذي احتفظ لها في هذا المنزل برزمة خطابات عشق أمريكية؟ مذهول أنا بالرغم من ذلك. أقول كلاما فظيعا وسخيفا، وهو ما لم يتوقعه يورج أبدا من رجل رزين مثلي. ماذا يفيدني أن أعرف عدد الذين كانوا يعرفون قبلي؟ أنا مذهول من نفسي؛ إنه الغرور؛ أي شيء سواه يمكن أن يُكرهني على أن أصنع من الأمر سرا؟ هل هو سري أنا منذ أن عرفت؟ مندهش أنا لغروري. لماذا لا يحكي، العشيق، قصته مع زوجتي لهذا أو ذاك قبل أن أعلم بالأمر؟ إنها قصته هو.)

ليس البار مكانا يصلح للحديث؛ صخب وظلمة مُقبضة. لم يكونا متعبين، فقط شعرا بالحرارة بعد البنج بونج؛ مرحبا بدش الآن. وفجأة يمسي كل شيء هشا؛ كآبة الضياع المشترك. لابد أن يفكر المرء الآن في فعل شيء، لكن لا شيء يخطر على بالهما. تقول لين:

It was a beautiful day!

بعد أسبوع ستجتمع الأكاديمية في برلين. ماذا ستفعل لين بعد أسبوع من اليوم؟ لا يقود ذلك إلى حديث؛ خططها، خططه. يجلسان في الشرفة بعض الوقت، لين بالبيجاما وفوقها الجاكت الوبري؛ الأمواج القريبة تتزايد شجاعتها تحت فيضان أضواء

الكشافات؛ لا يستطيعان سوى تبادل أحاديث عامة:

هل مازال الزواج يمثل لك مشكلة؟

أتذكر امرأة أخذت تخربش جدران التواليت بأصابعها العشرة حتى أدمت، بعد أن اعترفت بخيانتي الزوجية. آثار الدماء على الطلاء لاحظته في المساء، أما أصابعها المجروحة فلم أرها إلا في الصباح التالي. وأتذكر أيضا امرأة تجلس منتصبة في فراشها وتتصل بزوجها في عيادته: من كابينة التليفون، تقول له، أتشاغل عن السمع، وبعد مرور ساعة نتناول ثلاثتنا الطعام معا . . .

لا يشجعه الموضوع على الثرثرة.

الأمواج تحت ضوء الكشافات لا يعلو هديرها إلى الدرجة التي تمنعهما من الحديث. رغم ذلك يصمتان. لا تصل بعيدا تلك الأضواء الكاشفة؛ تظهر ثلاث موجات متكسرة يعلوها زبد يسبح في الضوء، وفي الخلف سواد، الليل، لا منارة تُرى، ليل بلا أفق. I am fine، قالت لين عندما جلست في الشرفة، It is not cold at all. ولكنها رحبت بارتداء الجاكت الوبري الذي أمسكه لها مؤخرا لأول مرة بعد إجراء الحديث الصحفي، وبعد ذلك أخذت أيضا بطانية صوف بيضاء. ثم أصوات من الشرفة المجاورة؛ تحذير لهما أنهما قد يُسمعان. يتفرجان على الموجات الثلاث المتكسرة (اللاتي سرعان ما يصرن اثنتين) المتوجة بالزبد الملفوف المولود من رحم الليل. لين الآن دون نظارة شمس؛ عندما تتكئ إلى الوراء في مقعدها بالشرفة فإن شعرها المحلول يكاد يصل إلى ألواح الأرضية

الخشبية. في التجويف الذي يتكون تحت الزبد تبدو الأمواج القادمة خضراء اللون، أخضر باهت حليبي. توقفت الموسيقى الصادرة من البار. منتصف الليل. أحيانا ترتطم الأمواج بقوة على الشاطئ حتى أن المرء ينسى ما كان يفكر فيه. في الغالب تهدر الأمواج بانتظام رتيب. ذات مرة تتعاقب أربع موجات. خسارة أن يغفو المرء الآن، وهكذا يجلسان طويلا. You are watching me. عندما يمسك بكتفها، أو يفرد شعرها ويداعبه براحتيه المفرودتين حتى تتحرر جبهتها من التجاعيد وتغدو جبهة إنسان يألفه، أو عندما يمر بإصبعه فوق حاجبيها المائلين للحمرة: لا يشك أن مداعباته الرقيقة تخص لين وحدها، الغريبة الشابة؛ وعندما يقبل جسدها وتضمه إليها فإنها لا تستبدل مشاعره بآخرين. شعرها على وجهه، الفم الواسع البض، عيناها التي ضاقت الآن، التشابه الفجائي لكل النساء في لحظة متعتهن. ثم رأسها على كتفه، صلابة الجمجمة. You are thinking. امرأة ما ستكون الأخيرة، أتمنى أن تكون لين، سيصبح وداعنا سهلا وصادقا ... في السابعة صباحا، عندما وقف وحيدا في الشرفة، لم تكن السماء قد أفصحت بعد عن النهار: هل سيكون رماديا أم صحوا؟ يأمل ألا يكون قد شخَر. الحصير تحت الأقدام الحافية مبتل، زلق قليلا. لا يعرف في أي شيء يفكر؛ مستيقظ هو. كالنوارس. أيضا درابزين الشرفة الخشبي، الذي يستند عليه، مبتل. يستمتع برعشة البرد وبعدم التفكير في شيء. يحس بقدميه على الألواح الخشبية الباردة، وبيديه على خشب الحاجز؛ يسمع النوارس لكنه لا ينظر تجاهها. يفكر فيما يمكن أن يراه. جسده يُشعره بوجوده في هذه اللحظة. أحيانا يتساءل عَرضًا عما فعله في عقود

عمره. قد يقول آخرون: خمس سنوات في الحرب، سنتان في الأسر. آخر: 40 سنة في السكك الحديدية. آخر: عشر سنوات في المخازن. يعرفون لِمَ كانت الحياة قصيرة.

الهندسة المعمارية:

12 سنة مع لوح الرسم والقلم الرصاص والمسطرة الحاسبة وورق الرسم الشفاف ومسطرة الرسم والبرجل ورائحة الحبر الشيني. عندما يلف المرء فرخا من الورق الشفاف: الخشخشة المتموجة. لفات من الكرتون. الرحلة اليومية إلى العمل: لم أعد طالبا، ولم أعد كاتبا، أنتمي للأغلبية. وجوههم في القطار صباحا ومساءً. أحب ارتداء معطف الرسامين الأبيض، وأحب الرسم. السماء تثلج، لذا يحتاج المرء إلى ضوء مصباح الرسم؛ اللمعان فوق الورق الشفاف. الحرب مشتعلة. عندما أمد ببطء خطا بالحبر الشيني فإنني أحبس الأنفاس. أحب أيضا الكتابة بخط جميل؛ أمحو ما كتبت إذا كانت أرقام القياس ليست جميلة، وإن مقروءة. **أسمنت، مادة السيكا، مقابض، زنك، عازل من الصوف الزجاجي، أسبستوس**: هذه هي المفردات التي أخطها. بلغت الثلاثين ولدي أخيرا مهنة أرتزق منها، شهادة جامعية، أشعر بالعرفان لأني وجدت وظيفة: من الثامنة إلى الثانية عشرة، ومن الواحدة حتى الخامسة. أستطيع التزوج. عندما أستخدم المسطرة الحاسبة أشعر بأنني أصبحت خبيرا. لماذا مهندس معماري؟ كان والدي مهندسا معماريا (دون شهادة جامعية): ورق الرسم الشفاف، الحامل الذي قد يتأرجح، الشريط المتري كلعبة محرمة. أرسم بصورة أدق مما كنت أكتب. بالمناسبة، أشعر

برجولتي أكثر عندما أرسم تصميمات المصانع. ذات مرة وأنا في موقع البناء علمت أن الدرج الذي قمت بحساب مقاييسه ورسمه لا يصل إلى بسطة السلم العليا؛ تنقص سلمة، بينما الطول مناسب. لا يتكرر ذلك أبدا. درجات الدرج كانت قد قُطعت، أخذ الرئيس المسئولية على عاتقه. في موقع البناء ينادونني: يا باشمهندس. عندما أرى ما كتبته في يد أحد عمال البناء أو النجارين فإنني أشعر بالضآلة، حتى وإن كانت التصميمات صحيحة. ليس لدي في الغالب أدنى فكرة عن كيفية تنفيذ شيء؛ أعرف فقط أن العامل يعرف ذلك. شعور فاتر تجاه الحرفيين من كل نوع. عندما يقطبون جبينهم فإنني أبتهج لأنهم لا يسألونني عما ينبغي عليهم أن يفعلوا. أما عندما يسبون ويلعنون فإنني أبتعد. أيضا بعد أن أدركت بمرور الوقت كيفية فعل شيء: لا تقدر يداي. تمتد يداي عندئذ إلى لفة ورقية تكون سندي في تلك اللحظة. ويبقى الشعور بعدم الكفاءة. يبدو أن العاملين لا يلاحظون ذلك. أود لو أتفرج عليهم مدة طويلة؛ لكن هذا لا يليق. مرتبي لا يزيد عن راتبهم إلا قليلا، إلا أنني لا أتقاضى نقودا بصفتي متفرجا. معظم العمال أكبر مني سناً. ذات مرة يهبني أخي ثقته. نقوده قليلة، سيكون بيتا صغيرا. كلما كان تصميمي بسيطا كان أفضل. إلا أنني أريد أن أظهر خيالي الواسع، وتكون النتيجة بيتا قبيحا، لكنه يُبنى: الحفر، السقالات، الأساس، الدعامات الخشبية، كل شيء وفق التصميم، ثم الطلاء الأولي للجدران، والأشياء الأخرى التي لم يتضمنها التصميم: مخلفات الحفر الكثيرة، الألواح، أكوام الطوب الأحمر - كلها أشياء عينية. بعد انصراف العمال أبقى لفترة وأتظاهر بأنني أقوم بقياسات. مواسير

للصرف الصحي، زلط، المجاريف، عربات اليد، لفات الكرتون المشبع بالزفت، خشنة ولزجة بعض الشيء، أكياس مليئة بالأسمنت، المرحاض تحت شجرة الكرز المزدهرة، ربطة أسياخ الحديد فوق النجيل وقد بدأ الصدأ يغزوها. ذات مرة أحلم: البيت المبني لا يتشابه إطلاقا مع تصميمي، ولكنهم يقولون إنه بُني حسب التصميم. مقارنةً بالحلم فإن المفاجآت غير السارة التي تنتظرني في الموقع صغيرة: شباك أكبر من اللازم. لم يعد بالإمكان تصغيره؛ لقد تم طلب إطارات الشبابيك. حتى الأفكار التي قد تقلل من التكاليف تأتيني بعد فوات الأوان. أشعر بالأسف لأخي. (بعد عشرين عاما يهبني مرة أخرى ثقته؛ البيت الثاني معقول على الأقل، يقوم مستويا على الأرض ولا يثير الاستهزاء.) أول أخطائي كرئيس: أوظف صديقا من الجامعة، كنا نعمل حتى الآن معا، أعرض عليه 500 فرنك سويسري في الشهر بدلا من 350؛ ولأننا كنا دائما متضايقين من أوقات العمل الجامدة - من الثامنة حتى الثانية عشرة، ومن الثانية حتى السادسة - فإنني أمنحه حرية أن يؤدي عمله متى شاء، أربعين ساعة في الأسبوع. الآخر، العامل الفني، كنت أعرفه من الجيش حيث كان عريفا. آنذاك كان سعيدا لحصوله على وظيفة، كنا نتخاطب معا بلا كلفة أيضا. عملنا يتسم بالإلحاح والجمال. تحديدا التصميم. كنت أعمل غالبا في المنزل حتى ساعة متأخرة من الليل، ومع ذلك كنت أشعر أنه لا يليق بي - الآن كرئيس - أن أجيء إلى المكتب متأخرا عن الآخرين أو أن أنصرف مبكرا. ولكنني إذا وصلت في تمام الثامنة وأقف مرتديا بالطو الرسم الأبيض عند مجيئهم، فإنني أبدو كمن يلعب دور المراقب، وهو ما يضايقني أنا

أيضا. يجب علي أحيانا أن أذهب إلى اجتماعات عمل، وعندما أعود بعد ساعتين فإن كورت - صديق الجامعة - لا يكاد يطيق انتظارا كي يريني رسوماته ويثبت لي اجتهاده في العمل. اقتراحاته لا وزن لها، إلا أنه يتقبل النقد بصدر رحب، ويبدي استعداده لدراسة الأمر من جديد. الآخر، رسام المباني، يغلب عليه الصمت الذي يزداد مع الأيام إلى أن ينطق يوما باستقالته. لماذا؟ لا يريد أجرا أعلى، ولكن ما يملأ نفسه مرارة أن صديقي الجامعي ينهمك على الفور في أشغاله الخاصة بمجرد انصرافي من المكتب. لست بحاجة إلى التفتيش تحت لوحة رسمه، فأنا أرى ما يعرضه علي: تفاهات مرسومة بسرعة، تخطيطات يمكن إنجازها في عشر دقائق وأرى أيضا كيف ينافقني كلما استطاع إلى ذلك سبيلا. الآخر، رسام المباني، هو الشخص العملي الوحيد في مكتبي، حي الضمير؛ يعمل مقابل ما يتلقاه من أجر، بينما يخدعني منذ شهور المهندس المعماري الجامعي الذي يتقاضى أجرا أعلى - هذا هو ما يضايقه ويسلب منه متعة يقظة ضميره. اسمه: آدم. يسكن في نفس البيت الذي نعمل فيه. ذات صباح، عندما وصلت إلى المكتب كالمعتاد، وجدت زوجته كالمجنونة، أمسكت بي صارخة: **لست قاتلة، يا أستاذ فريش، لست قاتلة**، قل لي أنني لست قاتلة! وتريني الرضيع. لقد هبطت بالمهد في الليل - حتى تستطيع النوم - ووضعته في مكتبي. رضيع أزرق. مخنوق. زوجها، العريف، كان في ذلك الوقت في الجيش؛ وجب عليّ أن أخبره. يصيب القدر ذوي الضمير الحي. تمر أسابيع إلى أن أطلب من الآخر أن نتقابل في مقهى؛ لم أكن بحاجة إلى قول شيء تقريبا، فقط إن علينا بحث أمر. إقالة؟ يقبلها

قبل أن أنطق بها ودون أن يسأل عن أسبابي؛ أنا سعيد لأنني غير محتاج لذكر السبب، وإلا فإن كورت كان بإمكانه أن يرد قائلا: هذا بالضبط هو ما فعلته أنت أيضا كموظف، تحت لوحة الرسم كنت ترسم تصميما للمسابقة التي اشتركت فيها. ظل المشروع فترة طويلة حبرا على ورق لنقص الأسمنت في تلك السنوات، ونقص الحديد الذي استهلكته الحرب. آنذاك لم أكن أعمل كل الوقت، وهكذا عاودت الكتابة: مسرح - حتى يتجسد شيء. الكتابة بعد الانتهاء من العمل. لا أريد أن يضبطني أحد وأنا أفعل شيئا آخر في المكتب؛ فقط للخواطر الملحة كانت هناك ورقة تحت لوحة الرسم. في خمسة أسابيع المسرحية الأولى، المسرحية الثانية في ثلاثة؛ ومسرح زيورخ يقوم بعرضها. لا يفوت مصلحة البناء إذن أنني أكتب. ذات مرة يدعوني المشرف على البناء إلى كشكه في الموقع ليسر إلي شيئا. يحتوي تصميم موقع بإمضائي ككل التصميمات على خطأ فادح في المقاييس. مع مراعاة مراجعة المقاييس أثناء عملية البناء، هكذا ينص الختم المعتاد على كل تصميم؛ أشكر المشرف لاكتشافه الخطأ قبل أن تحفر البلدوزرات أعمق من اللازم، وأقول له إن المخطئ في ذلك ليس رسام المباني، بل أنا شخصيا؛ إذ إنني لم أوقع فحسب، بل قمت أيضا برسم التصميم. لم أكن بحاجة إلى قول ذلك. كانت العاقبة أن مشرف البناء هذا وحتى نهاية أعمال البناء (بعد عامين) لم يعترف أبدا أنه يسهو أيضا ويخطئ؛ وكأنه قد تم الاتفاق على الشخص الذي تغافله الأخطاء هنا. لفترة يسير الأمران متوازيين، البناء والبروفات على خشبة المسرح. في الثامنة أتوجه إلى المكتب؛ وفي العاشرة أذهب إلى المسرح للبروفات،

أجلس كشخص عادي في الصالة وأصغي. عندما يعود الممثلون إلى المنزل لحفظ نصوصهم، أذهب إلى موقع البناء لأشاهد كيف ينزعون ألواح الخشب عن برج القفز، ثم يكسون مكانا آخر بالألواح، وأرى النجار الذي يحضر أخيرا ما أنجزه في ورشته ليركبه في المبنى. لا يسير كل شيء كما ينبغي، تماما مثل البروفات على المسرح. تجسيد هنا، وتجسيد هناك. صحيح أن الآخرين هم الذين يفعلون ذلك، رغم ذلك يغمرني شعورٌ بالمشاركة. يتكون شيء. أعي تماما أن هذا وقتي مزدحم عن آخره، كل يوم؛ كما أنه لا يخلو من هموم مهنية، إذ يتضح مثلا أن الطلاء الأخير خفيف، وأن دهان الخشب قبيح ولا يمكن تغييره. قبل أن أغادر موقع البناء أنظف حذائي بشريط خشبي أو سلك، ثم أركب دراجتي. أحيانا أُصفِّر فوق الدراجة.

12/ 5/ 1974:

بحر الصباح كالمحار الرمادي تحت السحب الكثيفة، الأمواج على الشاطئ فاترة، لا أثر للشمس. من الأفضل خلع الحذاء والمشي حافيا فوق الرمال، والحذاء في اليدين. النوارس فوق الشاطئ الخالي، أكثر صخبا من أي مشاعر، ومن هدير الأمواج. يفكر: ستمطر اليوم. تجمعات الأعشاب على الكثبان الرملية. الرياح تهب بقوة، وهو لا يرتدي غير قميص، ليس معه جاكت. لا يشعر المرء بالبرد طالما يواصل غرز قدميه في الرمال. لم تمطر بعد. وعلى طول المدى لا يُرى إنسان. هنا وهناك علبة بلاستيكية في الرمل، لم يلاحظها بالأمس. يسأل نفسه إلى أي مدى يمكنه السير

والحذاء في اليدين. كرسيّا الأمس ضئيلان على البعد، من الصعب رؤيتهما. يشعر بالراحة. يسير غارزا قدميه. بعد أن كاد يتعثر يعرف - والحذاء في كلتا يديه - في أي شيء كان يفكر: أرغب لو استطعت وصف نهاية الأسبوع هذا، دون أن أخترع شيئا، هذا الحاضر الهش - ولكن الفكرة نفسها خطرت على باله بالأمس في البوتيك؛ نسي اسم المكان. ثم، مرة أخرى، لا يفكر في أي شيء . . . ثم نفس الفكرة: أرغب ألا اخترع شيئا، أرغب في معرفة ما أعيه وما أفكر فيه عندما لا أفكر في القراء المحتملين. هل أكتب لإرضاء القراء، لتموين النقاد! السؤال حول ما إذا كان الكاتب يفكر أثناء الكتابة في القراء يُطرح في كل جامعة. على سبيل المثال يفكر أنه لم يقدم نفسه لقرائه حافيا أبدا . . . هناك حيث الرمل رطبا عند التقاء الموج بالشاطئ، وبالتالي يكون أصلب، فإن السير يصبح أهون والقدمين باردتين. البحر في مد، الشاطئ أضيق من الأمس. بعيدا عن الأمواج، حيث الرمال جافة، فإن غرز الأقدام في الرمال أمر منهك. يشعر بالاحتراق في بشرة الكعب. رمل خشن. في مرة ما ينبغي على المرء أن يسير طويلا حتى تبلى بشرة الكعبين، ويتحدث المرء إلى نفسه حقا.

عدا ذلك يبقى الأمر في الحلم:

- ثلاثة أو أربعة كلاب، ربما من فصيلة الدانيّ، كلاب كبيرة. محبوس أنا معهم في عربة الكلاب. لكنها لا تهاجمني. تنبح. لا أنظر إلى الخارج. تنبح كالمسعورة. ولا أعلم من يقف خارج عربة الكلاب، أصوات تُسمع، وتبقى العربة مغلقة. وإلا فسوف تمزقكم

الكلاب. لا تعوي فحسب، بل تخربش بأظافرها عند فتحة الباب؛ عندما تسحب أرجلها ألاحظ أن أصابع الأرجل مبتورة، واحدا بعد الآخر.

بالأمس، فترة العصر هينة وطويلة: وكأن الجرح قد اندمل تماما (كثيرا قال ذلك)، النظر إلى الخلف بلا غضب أو شفقة على الذات، انجرح وتطهر إلى الأبد (لا ينقص إلا الوزن وتصبح قصيدة)، والآن يبقى واقفا فوق الكثب الرملي، الحذاء في اليدين، كي يقول:

DAMN!

أولا البحر ليس رماديا كالمحار، والنوارس ليست بيضاء، والرمل لا هو أصفر ولا رمادي، ولا حتى العشب لونه أخضر أو أصفر، والسحب الكثيفة الداكنة ليست بنفسجية -

DAMN!

أحيا دوما في جهل لحقيقة الموقف.

DAMN!

لا أفهم سلوكي بعد ذلك. الجملة التي طعنتني كالسكين لم تُنطق أبدا؛ كلهم شهدوا بذلك. أنزف من جرح جنوني. غالبا لا يظهر للناس أن عقلي يخذلني؛ إلا أنني ألاحظ كل يوم أخطائي. يسبب ذلك القلق والعدوانية. خوفي من أن يخذلني مخي، ومن

انفعالاتي: مهزوز، متوتر، هش. لا يفيد في الأمر شيئا أنني أعتقد بأنني أعرف هذا أو ذلك. عصر هين وطويل: العالم يتزحزح في اتجاه المستقبل دوني، وهكذا أبقى محصورا في الذات التي تعرف أنها مستبعدة عن الاشتراك في المستقبل. لا يتبقى سوى الاحتياج المجنون إلى اللحظة الحاضرة من خلال امرأة. خبرت الخواء: عندما تبدو ربع الساعة، التالية أطول من العام الفائت كله، مع أنني كنت اعتقد لتوي أنني آمل شيئا. المريض بداخلي يشتهي الموت ويصمت عن ذلك؛ بهدوء يرغب في القذف بمخي في وجه أقرب حائط -

SHIT!

يوم الأربعاء سأتم الثالثة والستين . . . اليوم ستمطر، ليست خاطرة جديدة، بل فكر فيها منذ ربع ساعة، وحتى الآن لم تمطر. فقط بضع قطرات. الساعة الآن التاسعة. بعد العاشرة (قرأ ذلك على باب الغرفة) ليس هناك فطور - الآن يتذكر في أي شيء كان يفكر، والحذاء في يديه: لابد أن أوقظها . . . لا يمكن الحديث مع لين في الصباح. جفناها الآن شاحبان دون مساحيق، كأن طبقة من الشمع تكسوهما. لكنها تتنفس. شعرها الطليق على الوسادة، ذراع عارية كأنها معلقة فوق الأرض، وقدم تظهر من تحت الغطاء الكتاني.

في هذه الأيام أستيقظ مع الصفصاف

وأمشط شعري القمحي الأهدل على جبيني.

أمام مرآة من الجليد.

. . .

في هذه الأيام لا يؤلمني،

أنني أستطيع النسيان

وأنني لابد أن أتذكر.[10]

في غبش الفجر قبل أعوام (1958) أسير في شارع الساحل بينما كانت هي نائمة؛ لم أسر حافيا، ولكن القدمين بدأتا تلتهبان في الصندل أيضا. الأمر ملح، لذا أمشي مسرعا. لا أكاد أبصر. ومع ذلك أرى في الخليج السفن الراسية في صفوف كي تباع خُردة، وعلى البعد قوارب الصيادين في غبش الفجر. في البداية ظللت أروح وأجيء أمام المنزل، ثم جلست عند حاجز الأمواج، وبين الحين والآخر ألقي نظرة لأعلى في اتجاه البيت. هل كنت آمل أن تبحث عني؟ عندما يكون المرء نائما فإن ساعة ليست بالشيء الكثير؛ لكن ما أطولها على المستيقظ. ثم همت على وجهي حتى لا أرتعش من البرد. وفجأة الملل أيضا. هناك، حيث يلتف الشارع الساحلي حول الصخرة، وحيث يمكن للمرء أن يرى الميناء الصغير والمنزل الذي تنام فيه، والشرفة الصغيرة في الطابق العلوي، هناك جلست ثانية فوق السور فاردا يداي على الجانبين، باسطا راحتي على ملاط السور الخشن، ومؤرجحا قدمي بالصندل. بعد أن فركت الملاط من كفي واصلت السير قبل أن يتنفس الصبح. أسير مبتعدا كشخص

(10) أبيات من قصيدة للشاعرة إنغبورغ باخمان، التي يدور حولها المقطع التالي في القصة.

يجب عليه أن يوصل رسالة، رسالة عاجلة. LA SPEZIA؛ وأتوقف هناك. الوقت أبكر من أن أحصل على قهوة. ليس هناك إنسان، إنسان عاقل على قدميه، كل المحلات مغلقة. ولا حتى باعة السوق وصلوا بعد. ولا باص. يمكنني السير في وسط الشارع. سعيد بارتعاد أوصالي وأنا أجلس على دكة في الطريق العام، التفكير لا يجدي شيئا، لا أعرف في أي اتجاه أجد المستقبل. وفي محطة السكك الحديدية أحصي النقود في جيب بنطلوني بعد أن قمت بلا نظارة بدراسة جدول مواعيد السفر. السفر بعيدا عنها أم إليها؟ بقربها لا أشعر بسواها، بقربها يبدأ الجنون. كل هذا كنت أعرفه من قبل. مازلت أعتقد أن الأمر يمكن حسمه كعملة معدنية يلقيها المرء ليرى: ملك أم كتابة؟ ولكن الأمر قد حُسم. تهكماً ألقي بالفعل عملة، مائة ليرة، ثم ألتقطها من على الأرض دون أن أنظر إليها لأرى الملك أو الكتابة؛ فقط أنتظر حتى أستطيع شرب قهوة في هذه المدينة: LA SPEZIA . . . تماما في مثل هذا الفجر الرمادي قبل شهرين: باريس، القبل الأولى على دكة في الطريق العام، ثم في القاعات التي تُقدم قهوة في الساعات المبكرة: على المائدة المجاورة يجلس جزارون بمآزر ملطخة بالدماء، يالفجاجة هذا التحذير. رحلتها إلى زيورخ. الذاهلة في المحطة؛ متاعها، مظلتها، وشنطها. أسبوع في زيورخ كعاشقين، ثم الوداع الأول عن وعي واضح بالموقف. هذا يحدث بالفعل: أن يقف شعر الرأس. رأيت ذلك لديها. وعي واضح باستحالة العيش معا أكثر من أربعة أسابيع. رحلتي إلى نابولي. هي في المحطة، ساعداها قويان. ما مصيرنا؟ إنها في النهاية مجرد مصادفة أن نبيت في مكان ما؛ الفجاجة مرة أخرى:

PORTO VENERE، حيث نصل في تاكسي وكأننا نفر . . . قبل أن أنهض أفرغت الرمال من الصندل، والعملة أصرفها للقهوة. نعيش معا سبعة أشهر، بعدها أمرض (التهاب كبدي). في الثامنة والأربعين ولم أرقد أبدا في مستشفى. أستمتع بإدخالي إلى المستشفى، كل شيء أبيض، وهناك دائما من يخدمون المريض. ثم الخوف من فقدان الذاكرة. لأول مرة هذا الخوف. في الليل تلح جملة لابد أن أقولها لها: الجملة. تبدو لي جملة صائبة، ولذا من المهم - إذ إنني عاجز عن تسجيل الملاحظات - أن أحفظها غيبا. صباحا ينقلون سوائل إلى الساعد الأيمن، تستمر العملية ثلاث أو أربع ساعات: هذه النقط من الأنبوبة فوقي. حتى لا أفقدها أكرر الجملة الليلية كل ربع ساعة، دون أن أفكر كل مرة في معناها. مجموعة من الكلمات. بخاصة بعد أن عادني رئيس الأطباء، بعد أن سمعت كلمات أخرى، فإنه من الملح أن أُعيد صياغة تلك المجموعة من الكلمات. بعد عملية نقل السوائل إلى الجسم يكون المرء منهكا، ليس ذلك فحسب، أيضا تهيؤات بصرية. ولكن يجب أن أسجل الجملة قبل أن يغلبني النعاس. مع اقتراب المساء أشعر بنفسي مستيقظا؛ أقرأ الجملة التي ليست بجملة: الفاعل مطموس، أحذر سدى، ولا أثر لأي فعل. أنا خائف. تعودني، ولا أستطيع النطق بها . هل أسمع؟ لا ألاحظ أنها ترتدي اليوم فستانا جديدا، فستانا صيفيا. علا الإحباط وجهها، فقد جابت طوال اليوم زيورخ حتى تبهجني بالثوب الجديد. كما أنها اشترت لي زهورا، زهور «العايق»، لأنني أحب تلك الزهور؛ الزهور في الشقة، تقول، ثلاث باقات. لا أفهم شيئا على الإطلاق. أقول لها أن تنصرف. أنا أكثر

اصفرارا من صيني حقيقي. سأشتري، عندما أخرج من هذه المستشفى، سيارتين من ماركة «فولكس فاجن»، واحدة لها وواحدة لي، لحسن الحظ فإن شخصا توقف هنا أثناء سفره ويمكن أن يرافقها إلى روما. ليس أي شخص: هانز ماجنوس[11]. صرفتها، في صيف عام 1959. وبعدها بقليل أتماثل للشفاء. أستطيع السير ثانية: نصف ساعة إلى منابع الكبريت، ونصف ساعة للعودة. بعد ذلك أكثر. تحضر الذاكرة من جديد؛ هي إذن في روما. وعندما أستطيع السير لمدة أربع أو خمس ساعات في اليوم فإنني أعرف أنني لا أريد الحياة دونها. Roma non risponde، لا أستطيع تحمل عدم الاتصال بها لمدة ليلة واحدة، ولا حتى أثناء النهار، Roma non risponde، أستطيع التفكير في أسباب عديدة، وكلها بالنسبة لي سيان؛ ما يدفع بي إلى حافة الجنون هو هذا الجرس، إلى أن أسمع الصوت مرة أخرى: Roma non risponde. أحضر غطاء لأن النعاس يغلبني مرة بعد أخرى بجانب الجهاز، وأضبط المنبه حتى أتصل بها كل ساعة. مريض قال لها أن تنصرف، أعرف. سمح الطبيب لي أن أرتدي ملابسي وأتمشى لدقائق في الشارع حتى ألوح للاثنين عند ركوب السيارة. ألم تتلقى خطاباتي؟ زال اصفرار لوني. أريدها. Roma non risponde, Roma non risponde. ثم أسمع ذات مرة صوتها، بعدها بأيام قليلة نلتقي على الحدود الإيطالية السويسرية، وننطلق في عربتين فولكس فاجن تجاه زيورخ. تحكي لي ما حدث في روما. في زيورخ نحاول السكنى في شقتين

(11) الشاعر هانز ماغنوس إنتسنسبرغر Hans Magnus Enzensberger (11/11/1929) من أشهر الشعراء السياسيين في ألمانيا.

منفصلتين. تسكن في البيت الذي سكن فيه جوتفريد كلر أثناء عمله ككاتب في ديوان الدولة، الأبواب من خشب الجوز ومكسوة برقائق من النحاس الأصفر. ما الذي أنا مقدم عليه؟ في زيينا، خريف 1959، أقف أمام مكتب البريد كمن استيقظ بعد أن تجول أثناء نومه لفترة غير قادر على عبور الميدان المشمس: أُرسل الخطاب، بالبريد السريع، خطابا سميكا. عرضت عليها الزواج. نعم. لا أستطيع التكهن بإجابتها. لا. الصديق الذي انتظرني في بار قريب يلاحظ أنني ذاهل بعض الشيء، ولا يعرف السبب. متى يصلني ردها على أقرب تقدير؟ مُنعت من الشرب في ذلك الخريف، ولا حتى قهوة؛ هكذا ، بكامل وعيي، عرضت زواجنا. في مدينة أسيس أذهب أولا إلى مكتب البريد، ثم إلى الكاتدرائية حيث يُعقد في تلك اللحظة قران، قران كاثوليكي، في فلورنسا أذهب للبريد قبل أن أبحث مع الصديق عن فندق. هل أقدم على الاتصال بها؟ وصل خطابي، الذي أحفظه الآن غيبا، لا أسمع ذلك منها إلا عند لقائنا في زيورخ. ماذا كنت أفهم تحت كلمة زواج بعد نصف عام من طلاقي المتأخر من زوجة برجوازية؟ أصحبها إلى فرانكفورت؛ في قاعة المحاضرات بالجامعة أجلس أثناء إلقائها أول محاضراتها واضعا معطفها فوق ركبتي. في المرات التالية تريد السفر وحدها إلى فرانكفورت. ذات مرة على رصيف محطة القطار حيث جئت لاستقبالها تظل واقفة بمجرد رؤيتي وهي من الاضطراب في غاية. ما الذي قرأته في التلغراف وجعلها في اليوم التالي مذهولة هكذا؟ يبقى الأمر سرها الخاص. ذهابي إلى امرأة أخرى في ذلك الشتاء – وأنا أتنقل بين شقتينا – لا يحررني من تَيّمي. أطفالي أيضا يحبونها، أعتقد. بعد

ذلك نسكن معا في روما، VIA GIULIA 102، ضجيج. روما الخاصة بها هي. شائعة عزمنا على الزواج تنتشر بين الصحف كالنار في الهشيم، يذكرون أيضا اسم كنيسة إيطالية صغيرة لم أرها في حياتي. ألا يصدقون أنها حرة؟ إذا استضافنا أصدقاء، أصدقاؤها أو أصدقائي، فإنهم يعطوننا دون سؤال غرفة مشتركة؛ نحن زوجان، شبه زوجين، أمر لم نعد نستطيع إخفاءه. في مطعم إيطالي يأتي ألماني إلى مائدتنا، أرى تحية تفيض بشرا لصدفة اللقاء، وأصغي نصف ساعة. لا تقدمني إليه، وأنا لا أقدم نفسي لأنني أعرف أنها لا تود ذلك، وهو - الشاعر بيتر هوشل - لا يجرؤ على تقديم نفسه أيضا رغم أنه تعرف علي. أحيانا يكون الأمر غريبا. عندما زرتها في نابولي فإنها لا تريني البيت الذي تسكن فيه، ولا حتى الشارع؛ أتفهم ذلك. تخشى كثيرا أن يتقابل المقربون منها بعضهم ببعض. لا تريد أن أظهر في أي اجتماع **لجماعة 47 الأدبية**؛ يبقى ذلك في دائرة اختصاصها. لديها دوائر اختصاص عديدة. بين الحين والآخر أضيق ذرعا بهذا التكتم والتستر. ماذا تخشى؟ ذات مرة نسافر إلى كلاجنفورت؛ تُريني النافورة ذات التنين التي اشتهرت من خلال نصها؛ أنا (هكذا تقول) أول رجل تريه إياها، وتعرفني إلى العائلة. ثم مرة أخرى - في روما - تفرق بين الماضي والحاضر؛ فجأة تظل واقفة وكأن صاعقة أصابتها، وتلمس بظهر يدها جبهتها المائلة: من فضلك، لا، فلنسر في أي شارع آخر غير هذا، لا، من فضلك لا! لا أسأل. بالأسرار يصون المرء كرامته. هذا صحيح. تصور فظيع أن يجتمع معا كل الناس الذين لعبوا دورا في حياتنا أو سيلعبون يوما ما: تعارفهم، اتفاقهم بعد تبادل المعارف المتضاربة، التفاهم الذي

يبدونه تجاه بعضهم البعض - كأن الأمر جنازة لصورتنا عن أنفسنا. بهاؤها! نجلس عند سمسار روماني يؤجر إلينا شقة البارونة، ويوصل إلينا رسالة البارونة بأنها قد تفضل كمستأجر دبلوماسيا أمريكيا، dottore، تقول منفعلة وكأنها ابنة ملك لم يتعرف عليها أحد وتتردد، senta ، تقول، siamo scrittore، ونحصل على الشقة؛ شرفة تطل على روما. كثيرا ما تغيب ألأسابيع، وأنتظر في روماها: وفي يوم، وقد كنت أعرف أنها في الطريق إلى روما، لم أكن أستطيع أن أنتظر ساعة أخرى، لذا أنطلق بسيارتي إلى خارج المدينة، وأقبع على جانب الطريق مراقبا؛ أنتظر سيارتها الفولكس فاجن الزرقاء. لكي أحييها. في حالة لو لم ترني السائقة فإن سيارتي جاهزة للإنطلاق في اتجاه ROMA/CENTRO. بين الحين والآخر تمر سيارات فولكس فاجن، زرقاء أيضا، حتى أنني ألوّح. ربما مازالت تتناول طعامها في زيينا، RISTORANTE DI SPERANZA، لدي وقت. لم تتعرف علي عندئذ، إلا أنني سرعان ما لحقت بها، رأيت رأسها المستدير من الخلف، شعرها. من الواضح أنها لا تفهم كلاكساتي، ثم يمر بعض الوقت حتى أستطيع أن أسبقها، وكأنني سيارة شرطة تريد إيقاف عربة، وهكذا يستولي عليها الرعب أيضا. أنا أبله، وأعرف ذلك. حريتها جزء لا يتجزأ من بهائها. الغيرة هي الثمن من جانبي؛ أدفعه كاملا. في الشرفة الضيقة المطلة على روما أنام ووجهي في قيئي. أعاني كي تتكاثر الرغبة الحنونة داخلي. عندما تكون حاضرة، فإنها تكون حاضرة. أم أنني أخدع نفسي؟ ما لم يحدث أبدا: الزواج كحياة منزلية بائسة. ماذا يعذبني؟ أجلس في غرفتي ولا أتنصت عليها، ولكن يتناهى إلى

سمعي أنها تتحدث مع شخص في التليفون؛ صوتها جذل، تضحك، وتطول المكالمة؛ لا أعرف لمن تقول: بعد غد سأسافر إلى لندن!، دون أن تذكر أننا سنسافر معا إلى لندن لحضور عرض إحدى مسرحياتي. ذات مرة فعلت ما لا ينبغي أن يُفعل: قرأت خطابات لا تخصني، خطابات مرسلة من رجل؛ يفكران في الزواج. أخجل من نفسي وأصمت. عندما أسألها لا تكذب. تكتب: إذا تغير شيء بيننا فسأقول لك. ثم مرة أخرى يعاودني الاعتقاد بأنني لا أستطيع الحياة دونها. أقود سيارتي في اتجاه الشمال، طريق أحفظه عن ظهر قلب. عشر ساعات حتى كومو حيث أبيت في العادة، ولكن في تلك المرة أواصل السفر دون استراحة. لا تعرف أنني في الطريق إليها. أواصل السفر إلى أيرولو، سويسرا، هناك أقبل الليل. بدر. لابد أن الرحلة عبر طريق سانت جوتهارد ستكون الآن جميلة. بعد ذلك بوقت قصير أدخل في ضباب كثيف، لابد أن يجهد المرء نفسه حتى يتعرف على علامات الطريق. بعد ذلك يبدأ المطر. وأفكر إذا كان من التعقل أن أبيت ليلتي في البنسيون، إلا أنني لا أهبط من السيارة. لا أشعر بالتعب على الإطلاق، على العكس. بعد البنسيون بقليل، وأنا سائر في اتجاه الوادي، يتعطل كشاف السيارة الأيمن. لا أتوقف، فقط أُبطئ السيارة. عشرون كيلو مترا في الساعة، بكل بساطة لا يمكن أكثر من ذلك؛ إذ ليس لدي الآن سوى الكشاف الأيسر، بينما العلامات التي ترشدني إلى طريقي في الجانب الأيمن. المطر ينهمر. أنا الآن السائق الوحيد على الطريق، غير مجهد إطلاقا، أو نعسان فقط (هكذا أعتقد) بعد 14 ساعة على عجلة القيادة وحدي. عندما لاحظت فجأة أن علامات الطريق لم

تعد على يميني، وإنما على اليسار، أعرف أنني ضللت الطريق، وأفرمل السيارة بعنف. تظل السيارة واقفة، وقد مالت قليلا. لا أهبط كي أرى أين تقف السيارة على المنحدر، بل أسير إلى الخلف. أفلح في ذلك وأواصل الرحلة. ببطء بالغ. بين الحين والآخر يظل الضباب جاثما، حتى بعد أن خف المطر قليلا. في أندرمَت لا أجد فندقا مفتوحا، هكذا يبدو؛ انتصف الليل منذ مدة. إذن فلأواصل السير، بعد أن فحصت أخيرا المصابيح التي مازالت تعمل في السيارة: الكشاف الأيسر، ونور الوقوف الصغير الأحمر الباهت على الجانبين. لا أستطيع التخلي عن الأمر. لم أشرب شيئا (عدا كأس من الكمباري في زيتا، وثلاثة فناجين قهوة إسبريسو في كومو، وبيرة في أيرولو)، أشعر بالحيوية. السائقون في الاتجاه المعاكس يعترضون على كشاف سيارتي؛ لكنني لا أستطيع إطفاءه والاعتماد على أنهم سوف يرون النور الضعيف على الجانبين. آمل ألا تقابلني الشرطة. حوالي الثالثة فجرا أصل إلى البيت (أوتيكوم أم زيه). لم يحدث شيء، لم يحدث شيء على الإطلاق: أنا قادم من روما! هذا هو كل شيء. أنا هنا. لا أعرف لماذا لم أتصل تليفونيا على الأقل؛ لم أفكر في ذلك، فقط كنت آمل أن تكون موجودة. حدث ذلك قبل 14 عاما. ماتت إنجبورج. تحدثنا آخر مرة عام 1963 ذات ضحى في مقهى بروما. سمعت أنها وجدت في تلك الشقة (بيت الشجرة الباسقة) يومياتي في درج مقفول؛ قرأتها وحرقتها. لم ننجح في تجاوز النهاية، كلانا لم ينجح.

GURNEY'S INN:

خادمة المطعم الشابة، تختلف عن خادمة الأمس، تصب الماء بقطع الثلج في الكأسين؛ لم تحضر لين بعد، إلا أنه يعرف ماذا سوف تطلب: melon, pan cake with bacon and jam, coffee، فطورها يوم الأحد، والآن تمطر بغزارة.

MY LIFE AS A MAN

بعد سنوات أرى نفسي ولا أتعرف عليها: - هي ترقد في مصحة بيرشر بنر في زيورخ، ويأتي لزيارتها؛ عليه الانتظار، يبدو أن زيارته تلقى الرفض. إلا أنه مصر على رؤيتها والحديث معها. لا يعتبر نفسه وحشا. عندما دخل الغرفة صمتت مرتاعة. لماذا دخلت هذه المصحة؟ هي نفسها طلبت الدخول. يرى زهورا ولا يسأل عن مرسلها. يشاهد الممرضة تبدل زهور اليوم بزهور الأمس. لا يجلس على حافة الفراش، بل يقف، بعد ساعتين أو ثلاث لابد عليه أن يكون في المطار. عندما أرادت مغادرة الفراش حتى ترتدي ملابسها والخروج معه للتمشي، طلبت منه أن يخرج من الغرفة حتى لا يراها بقميص النوم. سيطير إلى أمريكا، نعم، دونها. تعرف كل ذلك من الخطابات. تعرف مَريانّه وتحدثت معها كامرأة بالغة. جاء حتى يودعها في العام الخامس. لا يصدق تماما أنها مريضة. ولكنه يصدق حكاية الزهور التي تتلقاها يوما بعد يوم. لا يشعل ذلك غيرته؛ استُهلِك تَيْمه. وهكذا يسيران في الغابة، لمدة ساعة كما أوصى الطبيب. الخبر الذي أرسلته إلى روما عن دخولها المصحة أفزعه للغاية، ولكن لم يغير خططه. مازالت تأمل أن يتفهم الأمر عندما يصل أمريكا، ويدعوها للمجيء إلى أمريكا؛ سيكون ذلك هو

الشفاء. وهكذا يتحمل هو وزر مرضها. ماذا وجد الطبيب لديها؟ منظرها يثير الشفقة. بماذا أمر الطبيب غير الراحة التامة والنظام الغذائي؟ الزيارات ممنوعة؛ وخاصة زياراته ستضرها. يمكنهما السير ذراعا في ذراع كي يكونا معا تحت المظلة. لا يدري لماذا يشعر بأنه يعرف هذه التمشية، هذه الساعة. عمَّ يتحدثان؟ كيف يصمتان؟ مشتت هو؛ ثلاث ساعات قبل طيرانه. سوف يخبرها بعنوانه . . . إلخ. يتذكر، نعم، حدثته في الماضي مرة عن رجل مسن رأته في فيينا، ولكنها لم تتحدث معه؛ ربما يهودي؛ تفاهما بنظرة واحدة، هكذا بدا لها، ثم هربت كأنها أمام قدر. إنه لغز: هذا الغريب كان هنا، نعم، في المصحة. مصادفة. تعرفا على بعضهما البعض في الممر؛ ثم تمشى معها هنا أيضا. لكنها لا تقول اسمه، ولا تحكي في العموم كثيرا. كل شيء بالغ الغموض. هذا الغريب يرسل إذن الزهور كل يوم، دائما نفس الزهور: 35 وردة. هكذا تقول، وهو يصدق الحكاية؛ لن تكون وحيدة عندما يذهب. وأنتَ، هكذا قالت بعدها بنصف عام في روما، طرت إلى أمريكا عندما كنتُ أرقد في المصحة، وما دعوتني إلى أمريكا. بل حتى لم تفهم أنني أرسلت الزهور لنفسي حتى تدعوني.

Check out

إذ ماذا يمكنهما أن يفعلا بعد الفطور غير ذلك. التمشية بالمظلة؟ بنج بونج؟ يمكن الجلوس على الشرفة والتفرج على المطر وهو يتساقط على البحر . . . يزعجه أن لين – لأنها قامت بالحجز – تعرف على وجه التقريب المبلغ الذي دفعه لليلتين. تجلس الآن في

السيارة. يدفع تقريبا ضعف ما تكسبه في أسبوع: نقود رجال، تكون أمرا بديهيا في إطار زواج . . . عندما يرقب لين من الجانب (لا يفعل ذلك أبدا دون التذرع بحجة؛ إشعال سيجارتها مثلا، أو التصرف كأنه يريد ألا يفوته منظر طبيعي، الكثبان، الأكواخ، الصواري): لين أمام عجلة القيادة، النظرة غالبا إلى الأمام، إما أنه اعتاد على كون شفاهها ساخرة أثناء النهار، أو أن شفاهها قد تغيرت. ذات مرة - أمس الأول على المائدة - لين مجروحة. لماذا؟ على الأقل لاحظ ذلك، وسألها، إلا أنه لم يعرف السبب. سوء تفاهم؟ يقطعان الطريق نفسه في العودة. من المرجح أنها أيضا كانت تخشى أن يكون الفشل من نصيب نهاية الأسبوع هذه. الآن ليس من الضروري أن يداريا على الخوف. يكتشف أنه فقد كيس تبغه؛ الصمت بلا غليون في الفم. كل منهما يعرف قليلا عن الآخر، أقل من اللازم كي ينساب حديثهما بيسر. إنه حتى لا يعرف موطن ضعف لين، أو ما الذي قد يؤدي إلى أول شجار بينهما. بالمناسبة، يبدو أن لين لم تعد تفكر في ذلك؛ المرة الأولى لا تُحسب. إنه بحاجة إلى زواج، زواج طويل، حتى يتحول إلى وحش.

AMAGANNSETT

هو إذن اسم المكان الصغير حيث قرر بالأمس أن يقص نهاية الأسبوع هذه: كسيرة ذاتية، نعم كسيرة ذاتية. دون أن يخترع أشخاصا؛ دون أن يخترع أحداثا تكون أكثر دلالة على واقعه الشخصي؛ دون الهروب إلى الخيال. دون أن يبرر كتابته بالمسؤولية تجاه المجتمع؛ دون رسالة. ليس لديه رسالة ويحيا رغم ذلك. إنه

يرغب أن يقص فحسب (دون أن يراعي مشاعر كل هؤلاء الذين يذكرهم بأسمائهم): حياته.

أجرّب القصص كالملابس

كثيرا ما يفزعني تذكر شيء ما، غالبا ذكريات غير مرعبة في الأساس؛ توافه لا تستحق حتى أن أحكيها في المطبخ، أو وأنا جالس بجانب سائق سيارة. ما يفزعني هو الاكتشاف: لقد تسترت على حياتي. زودت رأيا عاما ما بقصص. تعريت في تلك القصص، أعرف، تعريت إلى درجة عدم التعرف علي. لا أعيش قصتي أنا، وإنما فقط مع الأجزاء التي استطعت أن أصنع منها أدبا. مناطق بأكملها ظلت ناقصة: الأب، الأخ، الأخت. العام الماضي توفيت أختي. تأثرت لكثرة ما أعرفه عنها؛ لم أكتب أبدا شيئا من قصتها. لم أصف نفسي قط. لقد خنت نفسي فقط.

Max, what is your state of mind?

تسألني لين لأن المطر يهطل . . . شيء من الكآبة يظهر على وجهي في كل صورة تقريبا، وهو ما أكرهه منذ سنوات وسنوات. السبب في ذلك هو شلل في الأجفان، وهو ما يكسب وجهي، أعرف، ملمحا من التكبر. شُل جفناي وأنا صبي، عندما كنت مصابا بالحصبة، وكان علي أن أرقد في غرفة شبه مظلمة؛ إلا أنني أخذت أقرأ سرا ولساعات تحت الغطاء مستخدما كشاف صغير: **دون كيشوت**. بعد ذلك عُولج الجفنان، مرتين في الأسبوع؛ كان طبيب العيون يقلب الجفن ويدهنه من الداخل بسائل بني مؤلم، نصيب مَن

لا يطيع، كنت أشعر بحرقان هائل، ثم كان علي أن أجلس ساعة معصوب العينين في غرفة الانتظار. لم ينفع العلاج كثيرا. أصبح الجفنان (تبدو النظرة دائما وكأنها منكسرة تنم عن ريبة وسخرية) جزءا من سمات وجهي - سمعت وأنا تلميذ كيف كان جفناي يسببان الضيق لهذا المعلم أو ذاك: تلميذ بهذا المستوى المتوسط وهذه العجرفة. لم أكن أعرف على الإطلاق ماذا تعني هذه الكلمة على وجه الدقة، شيئا سيئا على كل حال، شيئا كريها. اجلس! فات على ذلك وقت طويل؛ بعد ذلك لم يعودوا يأمرونني بالجلوس. لكن سمات الوجه بقيت، وكذا ما تتركه من أثر. أُدرك ذلك عندما يتعجب شخص - بعد أن يتعرف إلي عن قرب - من أنني لست متعجرفا. هذا الاكتشاف يخفف عن الآخر أكثر مما يخفف عني. واستنتج من ذلك: ينبغي أن أحترس وأبدو جم التواضع. الكبرياء الطبيعي لابد أن يظهر مع سمات وجهي بالذات كتكبر. فلأكن إذن متواضعا ظريفا، وإذا لم يصدق الآخر ذلك فلابد أن أؤنب ذاتي -

يقول: No, I am fine

لا يزعجه المطر. يبتهج بكل حضور. الآن مساحتا المطر تروحان وتجيئان. ينتبه إلى كل ما يراه. لا يريد مذكرات. يريد اللحظة الحاضرة. الطبيعة، في هذه اللحظة، مقفرة؛ يتأملها مع ذلك. يلحظ قدمها على دواسة البنزين، وكرسي تالف، يدها اليمنى على عجلة القيادة، يد نحيلة، وحركة مساحتي المطر جيئة وذهابا. لا يفتقد شيئا؛ يشعر بالامتنان لنهاية الأسبوع هذه، التي لم تنقض بعد.

بريتانيا:

نسافر ثلاثتنا في السيارة الموريس الصغيرة، أجلس طيلة الوقت في الخلف. لماذا أتسبب في تضليل السائق بأن أقترح طريقا خاطئا؟ لا أنطق بحرف؛ ولا ألومها إذا انحرفت عن الطرق، وسارت في اتجاه ORLY بدلا من ORLEANS، ليست كارثة، فقط طريق أطول يستغرق ساعة إضافية، لا ذنب لي في ذلك؛ وهو ما يجعلها عصبية. أنا إنسان مقزز، أعرف، أتأمل الطبيعة ولا أشعر بحاجة إلى تأنيب ذاتي، بل أتحدث (مثلا) عن الكاتب بيتر هاندكه، **تعاسة بلا أماني**، نص ترك انطباعا طيبا لدي. أحيانا تصيب في لومها الذي توجهه لي عندما أقود السيارة. أحتاج إلى إجازة، أرغب ألا أتسبب لمدة ثلاثة أسابيع في أخطاء أثناء القيادة؛ أن أتفرج على فرنسا. شرطي فرنسي يجيء بملامح صارمة ويطلب منها بطاقة هويتها، ثم يسألها إذا كانت لم تر الضوء الأحمر؛ نكتشف - بعد أن تفحص وجه السائقة - أنه جنتلمان: Madame، يقولها دون أن يبالغ في إظهار جاذبية قد ينكرها عليه الرجلان الجالسان في الموريس، ثم يقول ويده على قبعته المخططة: Bon voyage!. نصل إلى البحر المنحسر، MONT SAINT MICHEL. التجول في الرمال الموحلة مبتعدين عن بعضنا. الموقف صعب بالنسبة للصديق العزيز، هكذا أفكر، مع رجل وامرأة حزينين بائسين. غداء، بسيط ولكن لذيذ؛ صديقنا، الموسيقار، يحكي لنا أخبار السيلت القدماء، بنفس الذكاء الذي يحدثنا به عن ميونيخ. ثم تهفو نفسها الآن إلى سيجارة. لم يكن معي سجائر لأنها توقفت عن التدخين. تسأل الصديق. يمد يده إلى جيبه ويضع العلبة على المائدة حتى تأخذ منها. وهو ما تفعله.

وأنا أصغي إليه. نظرتها لي: ألا أرى أنها تنتظر كبريتا. أسأله إذا كان عنده أعواد كبريت. أعواد كبريت؟ لديه: في جيب المعطف الأيسر أو الأيمن، يقول ذلك دون أن ينصرف عن طعامه. ليس أمامي سوى النهوض من على المائدة حتى أبحث على كبريته في جيب معطفه الأيسر أو الأيمن. لماذا أضحك؟ لأن في جيبي كبريت، وبالتالي لست بحاجة إلى النهوض، أشعل سيجارتها؛ نظرتها لا تخلو من لوم: ما معنى هذا السخف! إنه صديقنا الوفي منذ سنوات، ذواقة طعام، وخير من يفتح أمامك آفاقا جديدة، أيضا أثناء الرحلات. بعد ذلك أسأله في السيارة، لماذا جعلني خادمه الخاص. مثال من أمثلة عديدة. الموقف يتوتر؛ لا يفهم ما الموضوع، وهي تفزع لسلوكي، وأنا لا أطيق أحدا:

أنت تجرح كل أصدقائنا!

ثم حساسيتي عندما لا ألوم ذاتي، وتواجهني الرقابة، على أبعد تقدير عند انفرادنا؛ حساسيتي المريضة كالوجه الآخر لتأنيب الذات، الذي هو بدوره الوجه الآخر للصلف والتكبر. وكأنه ليس من حق الآخرين تحديد ضعفاتي أو أخطائي.

SUNRISE HIGHWAY:

لأنها لم تنجز على الشاطئ عملها المكتبي، ترجوه لين أن يتولى القيادة. تشرع في القراءة. يحب قيادة السيارات عندما يثق به الآخرون، ومن الواضح أن لين تفعل ذلك؛ وإلا فإنها لن تستطيع القراءة. شارع يكاد يكون مستقيما، أي أنه ممل إذا لم يتجاوز بين

الحين والآخر سيارة أمامه. ثم يفكر في صمت عما سوف يفعلانه في مانهاتن: بعد ظهر يوم الأحد، مطر، شقتها الصغيرة ذات القضبان.

Max, you are wrong

تقول الغريبة الشابة، وهو يتقبل الجملة كأي إنسان طبيعي، إنسان متوازن، إنسان عاقل - يخفف هذا عني، لأنني لم أظن أنه قادر على ذلك ... لا يسمع الجملة على أنها تأنيب. يفهم أن عليه أن يأخذ الحارة اليسرى، وهو ما يفعله ببساطة، ولا يرد قائلا: Sorry! ، كي يصمت بعدها متبرما. يتقبل ما يقال كلفةٍ صغيرة تبغي مساعدته، وليس كلوم. حديثا قال: Alice in the wonderland، والصحيح هو: Alice in wonderland ؛ هو في الأساس يعرف ذلك. لا يقشعر عندما تقوم لين - التي بالمناسبة لم تطالع الكتاب أبدا - بتصحيح ما قال، ولايفتر حماسه بسبب ذلك. لا يحمل قولها على أنه رقابة. خطؤه بالأمس، عندما تنبأ على الشاطئ بيوم أحد صحو، ليس بالهزيمة؛ إنهما فقط يظهران الأسف لأنها تمطر اليوم. عندما تخطئ لين في عدد سكان برلين فإنه أيضا يقول: You are wrong، يقولها بلا حساسية زائدة؛ ليس انتقاما، لذا فإنه ليس بحاجة إلى تزويد جملته التصحيحية بواقٍ للصدمات. لا يحتاج أن يقول: I think you are wrong . يحدث ألا يعرف كلاهما شيئا ما، مثلا متى عاش آخر هندي أحمر على هذه الجزيرة. بين الحين والآخر تبادره لين أيضا بالسؤال: Are you sure? ، ولكن ذلك ليس مدعاة إلى أن يضبط أعصابه؛ سؤال طبيعي. عندما تعرف شيئا أكثر

منه فإنه يكون راضيا؛ يوفر ذلك وقتا أو مالا، يوفر عليهما طريقا أطول أو أملا كاذبا. أما إذا كان متأكدا، مثلا من مواعيد فتح متحف «ويتني»، فإن سؤالها لا يجعله منفعلا؛ من الممكن الذهاب إلى متحف «ويتني»، والوقوف أمام اللوحات، دون أن يشعر المرء بالضيق من نفسه، ودون أن يبقى في الفم مذاق فاتر بأن الآخر يريد أن يكون على حق. ليس متوترا في انتظار أن يخطئ؛ لا يشعر بأنه في امتحان. ذات مرة في السنترال بارك انزلقت قدم لين من فوق صخرة سوداء، عندما اعتذر لها سألته: Are you crazy? – لم يدللها بعد بتأنيبه لذاته . . . تجاهلت لين وهي تسوق (منذ نصف ساعة) سؤاله: كيف يمكن بالنظر إلى مكان غريب معرفة إذا كان اليوم هو الأحد؟ ولكن لين تسأله الآن إذا كان قد عرف الإجابة. هو أيضا انشغل في تلك الأثناء بأشياء أخرى:

سمعنا كيف يقرأ بابلو نيرودا.

الآن فات أوان زيارتي لشيلي.

غدا (الاثنين) عليّ إنجاز بعض الأشياء؛ إحضار الكتب إلى مكتب البريد حتى لا يكون معي وزن إضافي، لابد من الاتصال ببضعة أشخاص، أصدقاء من المرة السابقة، أهملتهم، كلهم يسألون عن مَريانّه ومتى سوف تزورهم مرة أخرى.

Did you have a good time?

كلاهما أنجز عملا، أستطيع أن أقول ذلك، وأيضا قضى

إجازة؛ مرة في لندن، وأخرى في البريتانيا. أما بالنسبة للصحة فقد كانا عموما محظوظين. لندن كانت هي المدينة. ولكن لديهما الآن شقة في برلين. تعوّد المرء على ضجيج الطائرات نهارا، والأذن تفرق بين ضجيج الطائرة الهابطة والمقلعة. الطائرات الهابطة تكون قد أنزلت عجلاتها عندما تظهر فوق الطريق؛ الطائرات المقلعة - التي تُرى من نفس الشباك فوق نفس الطريق - تطير أعلى وتنفث وراءها غالبا أربعة ذيول من الدخان؛ الضجيج الصادر عنها أكثر حدة، ليس صفيرا كما هو حال الطائرات الهابطة، بل دوياً ينتشر في الهواء بين البيوت. تكون البداية في السابعة صباحا؛ الوقت المفضل للنهوض والذهاب إلى المطبخ، ثم إلى المكتب. كلما كبرت، كلما قل احتمالي لنفسي دون عمل. أكتب: ذكريات عن فترة التجنيد، خطابا عن الوطن، خطابا مفتوحا إلى المجلس الاستشاري الاتحادي عن اللاجئين من شيلي. إذا سطعت الشمس في الخارج فلابد من ضبط حصير الشيش الأبيض حتى لا تضرب الأشعة في العين. نور رقيق. شتاؤنا الثاني في برلين هذه، الربيع الثاني. الاحتفال الذي أُقيم بمناسبة عيد ميلادك كان جميلا؛ مكتبي كبوفيه بارد؛ أصدقاء أذكياء كثيرون ورقص. يومي أقضيه مع الكتب، أحيانا مع الزهور. لم تصبح الشقة مكدسة، لا سجاد، أسمع الخطوات فوق الباركيه (ليست الأحذية فقط) في تلك الغرفة المسماة بغرفة برلين، عندئذ أعرف: ستأتين لتتمنى لي يوما طيبا، حافية -

ما الذي نخطئ فيه معا؟

على السفينة في أوربا (سوف يتوقف الخط الملاحي هذا العام)

ألعب الشطرنج يوميا عدة ساعات. أنت تفضلين البقاء بمفردك على سطح الباخرة بعد أن لفك الخادم بالأغطية، وحيدة مع أفكارك؛ ثم تفضلين - عندما تشتد الريح - أن تجلسي بمفردك على البار. ألاعب نفسي الشطرنج؛ أخسر غالبا، هذا يعني أنني أتوحد مع اللون الخاسر عندما يموت ملكه، بلا مناقشات. عندما أجلس على الطرف الآخر من الطاولة الخضراء الصغيرة، وقبل أن يُحسم الأمر فوق الرقعة، فإنني أكون الخاسر أيضا: لا يتغير شيء! ولم أستطع معرفة السبب.

But where are you today? Probably out with your husband for a walk.... Do you think he has noticed? What foolishness! It is as obvious as a bumper sticker, as obvious as an abdication.... I have spent many message units seeking your voice, but I always get Frederick instead. Well, Frederick, I ask cordially, what amazing triumphs have you accomplished today?

ما أسرع حدوث الماضي: - هيئة الغريبة الشابة فوق المدق خلال الشجيرات، OVERLOOK ، كان هذا بالأمس.

EXIT 35

يرى اللافتات الخضراء.

NO LEFT TURN

لين تقرأ.

EXIT 29

هل استولى عليه النعاس أثناء ذلك؟

Max, you are a fortunate man

تقول لين بعدما حكى لها مرة أخرى - حتى لا يصمت طوال الأميال - حكاية حصولي على شقة الضيوف الخاصة بالممثلة مارلينا ديتريش، عام 1963، حكاية حقيقية لإثارة الضحك الخفيف . . . ليس معتادا على قيادة سيارة أوتوماتيكية كهذه. الأمر في غاية السهولة؛ منذ ساعتين أو أكثر وهو يقودها، يرى المرء الآن الملامح الرمادية لمانهاتن، ثم مرة أخرى بالقرب من كوينز تظهر هذه المدافن التي لا تنتهي. قدمه اليسرى تنسى: ليست التعشيقة، إنها الفرامل؛ من حسن الحظ أن لين قد ربطت الحزام، ومن حسن الحظ أيضا أن سائق السيارة التالية استطاع بالكاد تفادي الفورد التي وقفت فجأة. . . هذا ما كان ينقص: شخصان يروحا ضحية حادث مرور، أمريكية شابة (البيانات الشخصية بالتفصيل) وسويسري طاعن في العمر (البيانات الشخصية بالتفصيل)، كانت نهاية أسبوعهما على الساحل جديرة بالقص، نهاية أسبوعنا.

الآن تقود لين مرة أخرى.

يجلس صامتا، مفزوعا بعض الشيء: **إذا كنت لم تعد تتحمل أطفال أفضل أصدقائنا وكلبهم الصغير، فعلينا أن ندخل بيت المسنين على الفور!** وبعدها بثوان قليلة يكون الحق عندها: أواصل القيادة على طريق «البونديس أليه» (برلين) والإشارة حمراء.

مازال اليوم أحدا.

الخطيبة اليهودية من برلين (في زمن هتلر) لا تُدعى حنا وإنما كيته، ولا يتشابهان في أي شيء، الفتاة في قصة حياتي وتلك الشخصية في رواية كتبتها. لا يشتركان إلا في الموقف التاريخي، وفي الشاب الذي لا يستطيع فيما بعد أن يوضح سلوكه؛ الباقي فن، فن الكتمان تجاه الذات . . . ما الذي حدث؟ عجيبة هي الأماكن التي أتذكر فيها أحيانا: في محطة القطارات «فريدريش شتراسه»، عندما أُظهر لموظفي ألمانيا الديمقراطية جواز سفري، وأرى كيف يتفحصونني، وأرقب سحنتهم أثناء ذلك. لا أخلط بينهم وبين ذلك الموظف النازي الذي تفحصني، عام 1937، في الجزء الواقع على الحدود الألمانية في محطة قطارات بازل: **صحفي؟** ثم أضاف بعد أن صدرت مني إيماءة لا تخلو من افتخار صبياني بالمهنة: **وهذه اليهودية تمدك إذن بالحكايات الشنيعة!** أتوسل إليها على رصيف القطار: لا تعودي إلى ألمانيا. ولكنها تريد؛ والدها في برلين. على سلم القطار كنت مازلت ممسكا بها: ابق هنا. حب الشباب يرزح تحت ضغط هائل من الضمير. إنها أول شريكة لي؛ لا نسكن معا، لكننا نتقابل يوميا. طالبة. ساعات خلوتنا رومانسية تغلب عليها قلة الخبرة والسذاجة. في الوقت ذاته تُعلن في نورمبرج القوانين العنصرية. ولا مرة خلال خمس سنوات هفت نفسي للخيانة. ترغب في طفل، الأمر الذي يفزعني؛ لست مستعدا لذلك على الإطلاق؛ فشلت ككاتب، والآن على أعتاب مهنة جديدة حتى لا أظل خائبا. زيارة والديها في ضاحية لانكفيتش ببرلين؛ الأب قصير القامة أبيض الشعر، يقودوني خلال المتحف، حيث يحبيه - وهو الذي أشرف

على تأثيث المتحف - حارس عجوز بكل هدوء: **هَيل هتلر**[12]، **يا صاحب السعادة.** أثناء تجوالي ألمح فترينات العرض التي أقامتها قوات الصاعقة النازية عارضين داخلها صورا تبين طقوس قتل الأطفال الآريين عند اليهود. أذهب إلى المسرح: بدون الخطيبة، إذ إنها غير مرغوب فيها. في مرة أخرى أرى تظاهرة نازية، واسمع الناس تردد: **الموت لليهود**، يقولونها بالفعل؛ أقف تحت أشجار الزيزفون في برلين، أرتعد خوفا، ولا أقوى على رفع ذراعي الأجنبية لأؤدي التحية النازية. **كن رجلا وانتظرني**، يهتف أحد رجال الصاعقة، وألمح بعض الواقفين في الطابور يستديرون. في نورمبرج - مسقط رأس أمها - تريد أن تريني محلا شهيرا للسجق؛ ولا تلاحظ اللافتة: **غير مرغوب في اليهود.** لا يحدث شيء لأن ليس لها ذلك الأنف المميز لليهود، إلا أنني لا أستطيع أكل أي شيء خلف ذلك اللوح الزجاجي السميك. بعد ذلك في القطار (أتذكر: نقف، كي نكون وحدنا، في الجزء الخلفي بآخر عربة مرسلين النظر إلى القضبان التي تتلاشى في المنظور) تقول: **لا تسئ الظن بألمانيا.** عندئذ أبدي استعدادي للزواج حتى تستطيع البقاء في سويسرا. نذهب معا إلى دار بلدية زيورخ، مكتب السجل المدني، لكنها تلاحظ: ليس هذا حبا يريد أطفالا. وترفض، لا، ليس هذا هو ما تريده. بعد ذلك أجد في حقيبة أوراقها سلاحا ناريا؛ مسدسا صغيرا مكسوا بالنيكل، ولكن معمر بالذخيرة؛ أسرقه منها. هل لأنها يهودية لا أريد طفلا؟ عندما يختلط علي كل شيء أذهب إلى الغابة كي

(12) Heil Hitler ، التحية الرسمية أثناء حكم هتلر، وتعني: «عاش هتلر سالما».

أفكر. لم أعد أصدق ما أفكر فيه؛ ألقي بعملة على الأرض: ملك أم كتابة؟ لم أعد أتذكر على أي وجه وقعت العملة، وماذا كانت النبوءة. تقول لي: **أنت على استعداد للزواج مني لأنني يهودية، وليس بدافع الحب.** وأقول: سنتزوج، نعم، فلنتزوج. تقول: كلا. خالها في القاهرة، الذي كشف عن تمثال نفرتيتي، يستطيع أن يمكنها ماليا من الدراسة في بازل، وأبقى أنا في زيورخ. والداها - من اليهود الألمان حتى النخاع الذين لم يفهموا أبدا كلمات هتلر على أنها تعنيهم - استطاعا عام 1938 الخروج من ألمانيا، وعاشا حتى جاوزا التسعين.

سوبر ماركت

ينبغي أن تشتري لين بعض الأشياء لأمسية الاثنين. تهتم بالنظر إلى الأسعار، تتفحص البضاعة، ثم ترجعها. لا يستطيع مساعدتها في ذلك؛ يتسكع بين الأرفف ويتفحص الناس؛ **silent majority** ، ليسوا فقراء، لكن رماديون. يالخسارة البشر، تقول ابنة أنديرا، مع أن الأرفف ممتلئة؛ خضار، فواكه، في مكان آخر رُصت العلب الصفيحية كأنها ذخيرة؛ كل شيء موجود. يقرأ الأسعار لمقارنتها بأسعار بلده؛ لم يعد يعرف أسعار بلده. يخجله هذا. **May I help you?** سؤال من عاملة سوداء. ثم تسأل لين إذا كان يفضل الزيتون الأخضر أم الأسود - هي مشتتة إلى حد ما، لكنها غير متسرعة. إنه الأحد، بعض الظهر. عندما يتسوق هو ويتناول البضائع من على الأرفف ويضعها في العربة الصغيرة ذات الأسلاك الشبكية، فإنه يفعل ذلك بسرعة ووفق المزاج؛ لين لا بد أن تحسب، وهو سعيد لأن

الوقت يمر. وهي سعيدة لأن أحدا ينتظر حتى يأخذ الأكياس الممتلئة بعد أن تدفع الحساب، ويحملها إلى السيارة. لكن المسافة ليست بعيدة إطلاقا. تبحث عن نوع من التوابل. لديه وقت. ليس بديهيا بالنسبة لها أن ينتظرها أحد. يقف ويطالع الجريدة. عندما رفع رأسه كانت لين قد اختفت في الزحام، لم يعد يراها. كيف تبدو؟ ثم يتعرف عليها من شعرها الأحمر الفاتح الذي يراه من الخلف؛ يترقب لبرهة، تماما كما يرى المرء في الشارع أو في متحف شكلا غريبا من الوراء: قد يكون لهذا الشكل وجوه عديدة. لن يكون وجهها فارغا، يعرف هذا. عندما وقفت بالسلة الشبكية في الطابور أمام الخزينة أرسلت نظرة، ابتسامة، ثم دفعت ورقتين ماليتين، ربما من فئة العشرة دولار، ثم تعد بكل دقة العملات الورقية من الفئة الأقل وأيضا العملات المعدنية التي تأخذها: ما اشترته ليس كثيرا، كيس واحد يكفي، يحمله على ساعده الأيسر.

MONEY

الجهاز الأوتوماتيكي الأخضر في الممر الذي يمدنا بالغاز. على الأم دائما أن تلقي بعملة من فئة العشرين رابن حتى تتمكن من إشعال الموقد، وفجأة ينقطع الغاز مرة أخرى، وهكذا نحتاج إلى عملات كثيرة من فئة العشرين رابن إذا طبخنا شيئا يستمر فترة طويلة على الموقد؛ لا يجدي شيئا عندئذ أن الأب - عندما يعود أواخر الليل - ربما يكون لديه عملة في جيبه. ترفض شركة الغاز الحكومية أن تمدنا بالغاز دون دفع مقدم. منذ متى أعرف معنى كلمة نقود؟ جهاز الغاز الأخضر لقنني درسا: ما لانستطيع سداد ثمنه ليس لنا

حق فيه. عندما أجلس مع فتاة في قارب شراعي مؤجر ثم لاتهب الريح ونحتاج إلى أكثر من ساعة، مع علمي بأنني لن أستطيع سداد ثمن سوء الحظ هذا، فإن هذا ليس فقرا، وإنما فقط أمر محرج. لسنوات وأنا أحلم بدراجة سباق من ماركة فيلو أراها عند التاجر. أعرف: ليس لي حق في اقتنائها. لا يقدر أبي على شرائها. غالبا ما يحمل الهم عندما ينبغي أن أشتري كتبا للدراسة أو أدوات للرسم الهندسي. أتذكر عندما انتاب أمي لأول مرة الخوف من توقيع الحجز علينا. أما إذا نجح أبي في عقد صفقة سمسرة عقارات فإنه لا يود أن يسدد الديون فحسب؛ إنه يعشق اللفتات: بروش ذهبي للأم. لا يفهم في الإدخار؛ علينا إذن أن نتعلمه. أتذكر ذلك الاكتشاف الهائل الذي مكننا من صنع القهوة من ثمار شجرة البلوط. يحصل أخي على كمان، أجد ذلك شيئا في محله: موهوب موسيقيا وأكبر مني عمرا. أن ندرس في الجامعة كان من طموحات الأب والأم، الدراسة التي تروق لنا. وهكذا أصبحُ طالبا للدراسات الألمانية؛ بروفيسور ودود في الجامعة يحصل لي على منحة لأكمل دراستي بعد وفاة الوالد: 800 فرنك في العام. أكتب عن هوكي الجليد، عن المواكب الاحتفالية، وعن المسرحيات الساخرة التي تقام في المقاهي، عن البجع الصغير في بحيرة ليمات، إلخ. المكافأة حسب عدد السطور. عند تسلمي أول مكافأة نشر كبيرة، 20 فرنكا، قمت بكتابة خطاب شكر إلى الجريدة. أشعر بالاستقلالية إذا استطعت دفع الإيجار الشهري في موعده. لا يخطر على بالي أن أحملق طويلا في نافذة عرض إذا كنت لا أستطيع سداد الثمن، مثلا إذا أعجبتني كاميرا جيدة؛ لا أجرؤ أبدا على الدخول إلى المحل والإمساك بمثل هذه

الكاميرا في يدي. تتاح لي فرصة السفر إلى إسطنبول ومنها أصل إلى اليونان حيث أبيت في الهواء الطلق. في إسطنبول ناد سويسري؛ عندما يسألني السادة هناك إذا كنت قد تغديت فإنني أكذب وأقول نعم، وأكون شاكرا للقهوة السوداء التي أشربها مع سكر كثير. النقود كوسيلة تبادل؛ إما أن تكون معك أو لا تكون؛ عدا ذلك هي ليست موضوعا. المهم: لا ديون. توفي الوالد مديونا. أصبحنا على أعتاب الحجز. أخي الأكبر، كيميائي ومتزوج حديثا، يتولى مسئولية الديون؛ يسددها ببطء قسطا بعد آخر حتى لا يعرض الأم لفضيحة. لم أستدن أبدا، عدا مرة واحدة: أول آلة كاتبة اقتنيتها، REMINGTON PORTABLE، كانت مخفّضة، 150 فرنكا، لا أستطيع أن أسدد إلا 50 فرنكا. لم أدفع الباقي أبدا . . . أتذكر متى لعبت النقود لأول مرة دورا كبيرا. كان لدي صديقة، من ويلز، أكبر مني قليلا؛ تكسب قوتها بإعطاء دروسا خصوصية. مازلت طالبا أسكن مع الأم. لا يزعجني أن أُدعى من طرف الحبيبة على الطعام. بين الحين والآخر أُحضر معي زجاجة نبيذ، أما اللحم فهي التي اشترته. أحدهم يرى أنها بحاجة إلى الراحة، ويرغب في إهدائها لهذا الغرض 500 فرنك. لا اعتراض لي على ذلك، لابد أنه إنسان نبيل. عندما عدت كجندي في إجازة لم تستقبلني. تفتحت عيناها، هكذا تقول، فيما يخص رجولتي. لا أفهم أي شيء على الإطلاق. بعد ذلك بقليل تتزوج رجلا من رجال الصناعة. من ناحية أخرى لم ينتابني طيلة حياتي شك في أنني ربحت حبيبة بالمال؛ غروري كرجل يمنعني من ذلك. أول راتب لي كمهندس معماري: 350 فرنكا في الشهر، ثم 500 فرنك، وهو ما يكفي بالكاد آنذاك لعائلة وطفل.

أغسطس 1943	الدخل	المصروفات
الجائزة الأولى في المسابقة	3000	
أجري من البروفيسور دونكل	490	
لأمي		500
وليمة للزملاء		60
مع «ترودي»		15
قمصان		34
مصاريف البيت		350

سبتمبر 1943	الدخل	المصروفات
دراجة «فيلو» لي		352
أدوات رسم		40
حوامل لطاولة الرسم		33
تجليد الكتب		7,5
راتبي كجندي	50	
مصاريف البيت		350
إعانة اجتماعية	190,96	
مكافأة نشر	32	
جريدة «شفايتسر روندشاو»	20	
ختم للمكتب		42
كونسير مع «ترودي»		14

غريبة عني الفكرة التي تنادي بأن الراتب لا بد أن يُحدد وفق الاحتياجات. على المرء أن يعيش وفق دخله. أرى بكل بساطة متى يكون مطعم ما للآخرين؛ لا أحتاج عندئذ حتى إلى قراءة قائمة الطعام المعلقة على الباب حتى أعرف أنني لا أتناسب مع المكان، حتى لو كانت النقود في جيبي في تلك اللحظة. لا أستطيع نسيان إحدى عواقب نقص المال، لأنها تصاحبني، في فمي: أسناني. أيام الدراسة الأولى، عندما كنت أكسب قوتي بمكافآت الأسطر، لم يكن معي نقود لطبيب أسنان حقيقي؛ أخذ طلبة طب الأسنان يتدربون على أسناني، ويتعلمون علاج الجذور، مجانا. العواقب تظهر بعد ذلك، عندما لم تعد النقود تقدر على إنقاذ أي شيء. لوقت طويل، حتى بلغت الثلاثين، لم أتعرف إلى أغنياء، بغض النظر عن ف.، صديق المدرسة وراعيّ؛ كنت أنظر للغنى من الخارج فقط، بلا تصور من أين يأتي، بلا أي حسد. فيلا بحديقة: شيء لا أستطيع تخيله لي، لابد أن يولد المرء لشيء كهذا. مرة واحدة فقط حدث أني شعرت بالجوع لأنني كنت معدما، طيلة ثلاثة أيام فحسب، في براغ عام 1933. أخذت - وتاج الأسنان التشيكي في فمي - ألقي النظرات على نوافذ عرض المخابز لأتأكد في كل مرة أنني فعلا لا أشعر بالجوع؛ إلا أني لا أعرف ماذا أفعل بهذه الأيام الثلاثة، لا يثير أي متحف اهتمامي، ولا المدينة بأكملها. في عام 1942 أتزوج مهندسة زميلة لأني أحبها، ابنة عائلة بورجوازية كبيرة، جرترود كونستانسه ف. ماينبورج. لم يؤثر في ارتياب الأصدقاء أنني أتزوج المال؛ بيت والديها، عزبة كبيرة تمتزج فيها الوجاهة الأرستقراطية مع نزعة الإدخار. تحصل العروس على جهازها، كما تفرض

العادات؛ أثاث، وملابس تعيش العمر كله، وفضة. لوازم المطبخ على العريس. فوق هذا تحصل العروس على حفل كبير ألزمت العائلة به نفسها (أرتدي لأول وآخر مرة بدلة «الفراك»)، وتحصل كذلك على جزء مقدم من ميراثها. 120000 فرنك، على حد علمي. لا أعرف ما إذا كان في إستطاعتي أن أسحب من هذا المبلغ؛ على كل حال لم أفعل ذلك أبدا. ليس من حقي تلك المبالغ. دخلي آنذاك محترم؛ يكفي للإيجار ومصروف البيت. إلا أنها تدفع من حسابها الخاص راتب الآنسة التي تعتني بالطفل. برأيي أن حسابها موجودِ لهذه الأغراض؛ الرضيع مُجهِد. وقبل أن أنسى: عندما أسست مكتبا هندسيا خاصا بي حصلت على غرفتين في بيت قديم تملكه عمة، بدون إيجار. حماي أيضا على إستعداد للمساعدة؛ إنه يتفهم أنني أحب أن أرى المسرحية - أول مسرحية لي تعرض في زيورخ - مطبوعة، وعندما لم يجرؤ ناشري آنذاك، مارتين هوليمان، على طبعها دون إعانة مالية، أراد حماي أن يهديني ألف فرنك. إلا أن كبريائي لم يسمح؛ آنذاك كنت أعتبر مسرحيتي (**ها هم يعاودون الغناء) مهمة، وتستحق أن تُطبع دون إعانة مالية. بعد ذلك بسنوات سافرنا ذات يوم إلى عزبة الوالدين كي نسبح مع الأطفال في البحيرة القريبة. لم يكن الوالدان هناك؛ أمرنا الطباخة أن تعد لنا وجبة باردة نأخذها معنا، واستمتعنا باليوم؛ بعدها يصلني خطاب من والدها، جاد وشديد اللهجة: يجب ألا يتكرر ذلك في المستقبل، بيته ليس فندقا. ولم يتكرر ذلك أبدا بعد ذلك. ليس هذا بخلا، لكنه أسلوب. أتذكر حالة بخل: تاجر أعمال فنية فاحش الثراء (أوربي) في بركلاي** - كنت في ضيافته عدة أيام - يبين للوافد الجديد إلى

أمريكا كيف يلقي المرء بالعملات المعدنية في جهاز التذاكر بالباص، وأي نوع من العملات؛ بعد أن رأيت ذلك وفهمت كيف أقطع تذكرة في المستقبل، شكرته، فإذا به يطلب مني أن أعيد له العملة، One Dime. في زواجي الأول أحضرت أشياء قليلة: كنبة وغطاء لهذه الكنبة، الآلة الكاتبة، كتبا، مكتبا «سكاند هاند»، سجادة صغيرة، طاولتين للرسم على حوامل، مصباح . . . إلخ، ولهذا كنت الطرف المدين عندما حل الطلاق بعد ثلاثة عشر عاما، عندما اقتسمنا الممتلكات. طبعة الأعمال الكاملة لجوته المبطنة بجلد ناعم ملكها هي، أعرف ذلك، هدية من والدها. جزء من هذه الطبعة لدينا مرتين، **الشعر والحقيقة**، عندها حق: حتى هذا الجزء ملك لها. فيما بعد أفهم حماي الذي يرد على خطابي المتألم بعبارة مفادها أن زواجي مع ابنته قد فشل بعد اثنتي عشرة سنة، والآن فالسؤال المطروح هو إذا كنت أستطيع التكفل ماليا بأعباء الطلاق. عندما تعلمت قيادة السيارات واشتريت أول سيارة في حياتي، سيارة فولكس فاجن، كنت في الثامنة والأربعين من عمري. طوال سنوات لم أعد أعرف مصرفاتي: في روما لا أدخر، وفي زيورخ أميل للإدخار؛ في الغربة يكاد يطغى علي الشعور أن من حقي أن أحصل على ما أستطيع دفع ثمنه. مثلا شقة في باريولي، إيجارها الشهري 2000 فرنك. بالنسبة لملابسي لا يتغير شيء. لست بحاجة لحساب كل شيء، هذا هو الجديد. ماذا أحتاج؟ يبدو أن النقود لم تعد تلعب الآن دورا، على الإطلاق. لحسن الحظ هناك زملاء لديهم على الأرجح دخل أكبر من دخلي، من بينهم كتاب مجيدين. الشيء الذي أقتنيه الآن دون تردد: غليونا جميلا جدا، بل اثنين، وأشياء

تجعل الحياة أكثر راحة؛ وكذا ما يوفر الوقت: طيران بدلا من رحلات طويلة بالقطار، تاكسي إلى المطار. في روما لدينا «بينا» التي خدمت طوال عمرها عند الأرستقراطيين. لا تطاوعني نفسي على الضغط على الجرس عندما نحتاج إلى مكعبات ثلج من الوعاء بجانبي؛ أفضل أن أقوم وأخدم ضيوفي ونفسي. لن أصبح أرستقراطيا. ذات يوم يأتي هاينريش بُل[13] لزيارتي. يتصبب عرقا. يخلع - بينما تقوم بينا بالخدمة على المائدة - جاكتته. انتهى أمرنا بالنسبة إلى بينا. في زيورخ، أثناء سفري، أرى واجهة مصرف «فولكس بنك»؛ أتذكر فجأة هذه الواجهة، أدخل إلى القاعة التي تبدو لي مألوفة وأسأل على الشباك إذا كان لي رصيد هنا؛ أريهم جواز سفري. هذا هو الحال: 20000 فرنك، ادخرتهم آنذاك خوفا من ألا أستطيع يوما سداد نفقاتي الشهرية؛ أصبح المبلغ الآن 23000 فرنك. أشكرهم. عندما رأيت بعدها بربع ساعة مصرف «شباركَسه» التابع لمدينة زيورخ دخلت وسألت هناك أيضا؛ يعطونني دفتر التوفير: 174,30 فرنك، آخر مرة صرفت منه كانت في عام 1938. مقابله يقع مصرف «كانتونال بنك»؛ أسأل هناك أيضا وأعطيهم جواز سفري من تحت زجاج الشباك؛ يستغرق الأمر وقتا طويلا حتى يعود الصراف ويقول: لا، للأسف لا. أعتذر. لماذا أنا غني؟ مصروفاتي تضاعفت، أجدها مفزعة عندما أراها مكتوبة بالأرقام؛ حتى لا يستولي علي الرعب أتفحص بين حين وآخر ما إذا كانت أرقام دخلي صحيحة، هذا هو الحال: أكبر مما كنت أعتقد. تتكون ثروات؛

(13) الأديب هاينريش بُل Heinrich Böll (1917 - 1985) من أبرز أدباء ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية. حصل عام 1972 على جائزة نوبل للآداب.

الرقم الإجمالي يتضخم كما يحلو له؛ لم يعد للأمر علاقة بالأجر أو الراتب، إنه بالأحرى يانصيب. عندما يمر أحد بضائقة ويقترض مني ورقة بمائة أو ألف فإنني أنساها. تنشأ في الخفاء علاقة مختلة، ليس فقط مع الناس الذين عليهم أن يحسبوا مصروفاتهم بدقة، وإنما أيضا علاقة غريبة مع ماضي الإنسان ذاته: الأمر يثير الضحك، طبعا كان في استطاعتي عام 1955 أن أشتري دراجة بخارية عندما كنت أسكن خارج المدينة. لم أبدأ في تدليل ذاتي إلا بعد أن صممت على ذلك. إذا كان ولابد من جهاز اسطوانات، لم لا يكون أفضل جهاز معروض في السوق؟ ولم لا أقتني أفضل سماعات أيضا؟ عندئذ لابد أن أتغلب على شيء في داخلي، طبعي القديم: الرخيص يؤدي الغرض أيضا! مع الأصدقاء في لقاءلتنا أميل إلى البذخ؛ لست غنيا، ولكن محدث غنى. لا ألحظ عند الأصدقاء أي بادرة حسد، إلا أن شيئا ما أصبح مختلفا. نادرا ما يتحدثون الآن عن همومهم المالية. يعرفون أنني ساعدت البعض. ما تغير هو تعاملي مع الأغنياء وسلوكهم معي. فجأة يتحدثون بلا حرج ليس فقط عن الأدب والفنون، وإنما أيضا عن أسعار العقارات، وعن أي الأماكن في العالم يستطيع المرء فيها أن يشتري بأثمان مناسبة، مثلا مجوهرات وأنتيكات . . . إلخ. بالطبع رأيت مقتنياتهم منذ مدة طويلة، وتكلمنا عن بولياكوف، عن كونو أميت وعن هودلر، ليس عن جياكومتي بعد. كان من اللياقة ألا يتحدثون عن منقولات لا يستطيع الضيف اقتناء مثلها، وأنا قد سمعت عن صيد أسود في أفريقيا، وعن يخت يرسو الآن في باليرمو، لكنني لم أسمع عن أثمان أبدا. كنت أعتقد أن المال لا يلعب دورا لدي الأثرياء. مؤخرا بدأت أفهم: الثراء

كالمهنة، مهمة ليست بالسهلة؛ حياة الأثرياء لا تخلو من هموم. لا يحسدونني على نجاحي، أشعر بذلك، كما إنهم لا يحسدون فريدريش دورينمات الذي يملك - كما يقولون - بيتا رائعا في نوينبورج. يتناهى إلى سمعي أن بناتهن يقبلن على قرأة كتبي بدرجة تصل إلى الشغف. بالطبع لست في أعينهم غنيا، ولكنني أقود سيارة **جاكوار 420** على كل حال، وهذا يقربنا، كما يعتقدون؛ في رأيهم، يختلف التوجه السياسي ولاشك مع هبوط الثروة. مليونير كاشتراكي؟ ناهيك أن يكون معاديا للرأسمالية؟ لأنهم يفهمون الاشتراكية على أنها أيديولوجية الحسد فإنني أفقد صدقيتي في عيونهم؛ هل لدي دافع لمثل هذا الحسد؟ عندما كنت أزورهم ككاتب فقير لم أكن أحيرهم مثل الآن. ما لم يخطر على بالي أبدا: أن أستخدم المال كسلطة. لقد ظل بالنسبة لي مجرد وسيلة تبادل.
هناك شيء ما خطأ، وأعرف بالطبع ما هو. صديق شاب، أقدره لدرجة العبادة، لا يطلب مني قرضا، فقط يتناهى إلى علمي أنه بحاجة إلى قرض كبير، وأستطيع أن أمنحه إياه: بلا فوائد، فمن غير المعقول أن يعمل هو، الصديق، من أجلي أنا الغني. لكن هذا بالضبط ما يفعله الموظفون والعمال الذين أعرفهم؛ وإلا ما كانت هناك فوائد. هذا هو الخطأ. أعرف رساما غير محظوظ في بيع لوحاته ويحب أن يشرب نوعا معينا من النبيذ، أرسل إليه بمناسبة عيد ميلاده الستين ستين زجاجة من نبيذه. قال فيما بعد إنه حطم أو أهدى كل الزجاجات. كنت مسافرا في الخارج لذا لم أستطع أن أشترك في افتتاح معرضه، إلا أنني لم أكتب حتى خطابا. ستون زجاجة، شيء يوزعه المليونير أثناء مروره كما يوزع الأوراق المالية!

أفهم غيظه. لو لم أكن أملك المال، ربما ما كنت كتبت إليه أيضا؛ ولكن ما كان سيجرحه ذلك. هل أرتكب الآن أخطاء مشابهة لما كان يفعله ف.؟ . . . أتذكر إنجبورج وعلاقتها بالمال؛ في يدها حفنة نقود، مكافأة نشر، تبتهج كطفل، ثم تسألني عما أتمناه. النقود وجِدت لتُستهلك. كيف كانت تصرف النقود: ليس باعتبارها لقاء عملها، وإنما كأنها من علبة إحدى الدوقات؛ دوقة فقيرة في بعض الأحيان. تعودَت على الاستغناء؛ المال مسألة حظ: مالها، مالي، مالنا؟ إما يكون في حوزة المرء أو لا يكون، وعندما لايكفي تندهش وكأن شيئا ما ليس على ما يرام في هذا العالم. لكنها لا تشكو. لا تلاحظ أن الإذاعة، التي سعت كي تعمل الشاعرة لديها، تستغلها ماليا، وتوقع وقد علا التشتت وجهها عقدا يخزي الناشر. لا تحسب أن الآخرين يحسبون. تشتري لنفسها أحذية وكأن لها ألف قدم. لا أعرف كيف تفعل ذلك. لا أتذكر أنها ندمت مرة على مال صرفته؛ سيان أكان إيجارا مرتفعا أو حقيبة يد من باريس تتلف على الشاطئ. المال يطير من أيدينا على هذا النحو أو ذاك. تشعر بالحرج إذا أحبت إنسانا بخيلا على ذاته. في الواقع، من حقنا أن نقتني قصرا صغيرا، أو كبيرا، إلا أنها ليست ناقمة على الآخرين لأنهم يملكون. أشعر بالسرور عندما أهديها شيئا: وجهها يسطع عندئذ بهجةً. لا تطلب الترف، ولكن إذا كان موجودا فإنها تعرف كيف تتعامل معه. من أسرة بورجوازية صغيرة مثلي، لكنها تحررت من تقاليدها. دون أيديولوجية؛ بحيويتها. إذا كانت تتوقع شيئا، فهو حدوث معجزة. كما هو الحال عند بعض النساء: الأوراق المالية في حقيبتها غالبا مكرمشة، تريد أن تُفقد أو تتحول إلى شيء أجمل. بمناسبة عيد

ميلادي الخمسين تهديني رحلة إلى اليونان.

WHITE HORSE:

البار البني المظلم - حيث شرب الشاعر ديلان توماس حتى الموت - به مرايا كبيرة تظهر أن بالخارج نهارا، ليس مشمسا، نهار أحد رمادي قاس. دون هدير عربات النقل؛ هذا هو ما يميز يوم الأحد. لديه وقت للذهاب إلى هدسون مرة أخرى، إلا أنه لا يفعل. بدلا من ذلك يقلب في أجندته لعام 1974: مايو، يونيو، يوليو، أغسطس، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، أيام كثيرة خالية، أيام الأسبوع بيضاء: الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة. ثم يدفع ثمن البيرة التي لم يشربها حتى الثمالة -

كم تريد أن تبلغ من العمر؟

هل تحب أحدا؟

كيف تستنتج ذلك؟

ذات مرة يأخذ في التفرج: المطافئ أثناء العمل، العربات الحمراء الكثيرة اللامعة، أبواق الإنذار، الأضواء الزرقاء الدائرية؛ يكسر رجل مطافئ زجاج ثلاث نوافذ، يتدافع الدخان إلى الخارج. ثم يواصل عمله. مازال اليوم أحدا؛ تمطر باعتدال. يسير والمعطف مفتوح، اليدان في جيبي البنطلون. من تقاطع إلى آخر نفس اللعبة: WALK / DON'T WALK. ينسى أنه كان يريد أن يشتري تبغا. يقرأ لافتات الشوارع دون احتياج إلى معرفة أين هو في هذه الساعة:

CANAL STREET. سار مسافة بعيدة. من فتحة بالوعة يتصاعد هنا وهناك بخار، مشهد مألوف؛ تلك الدوامات البيضاء من البخار. الساعة الآن الثالثة بعد الظهر، في يوم الأحد. باستطاعة المرء هنا عبور الشوارع حيثما شاء؛ الحفر تتناثر فوق الأسفلت. ذات مرة يسمع المرء صوت مروحة هليكوبتر غير مرئية، كتصفيق قوي في الهواء؛ يلمح مرور الغيوم الرمادية فوق الأسطح. ثم يسود الهدوء ثانية في شارع طويل ليس به إنسان واحد؛ فقط صناديق القمامة، قطيع من صناديق القمامة. يشعر بالمطر في الظهر. يرسل البصر دون أن يتوقف عن السير، وكأن أمامه هدفا: المواسير الصفراء وسط الميدان، موقع بناء بحواجز ورايات صغيرة، يتصاعد البخار وكأنه من مدخنة باخرة غارقة في الأسفلت. يستمتع بشيء ما، دون أن يعلم ما الذي يستمتع به. مازال يشعر بحبات الرمل في حذائه. فجأة يسمع زئيرا من قضبان فوقه، غالبا ما يتصاعد من بين هذه القضبان رائحة ضعيفة، SUBWAY، لا يستخدمه؛ لا حاجة إلى هدف. كان يريد أصلا البقاء في الفندق كي يستريح ساعة؛ يمشي، اليدان في جيبي البنطلون. كان المطر قد توقف. ثم يظل في أحد المرات واقفا: مجموعة شبان على كراسي متحركة، يلعبون على الأسفلت هوكي الجليد؛ قرص حقيقي، لكنه لا ينزلق فوق الأسفلت، وإنما يتدحرج؛ لبرهة يشعر بالرغبة في أن يمسك هو أيضا بعصا في يده. ثم يواصل السير. يرسل البصر: مرة أخرى صناديق قمامة من الصفيح المتموج، إلى جانبها أكوام من أكياس القمامة البلاستيكية السوداء التي تنتظر يوم الإثنين – سوادها اللامع.

Count down:

خلال 48 ساعة سأطير . . . لا تتوقع لين أن يغير موعد سفره، ولا يتوقع أن تتطلب منه ذلك. يفهمان بعضهما. في المساء تأتي لين إلى الفندق. تذكرة طيرانه تحت المصباح الأصفر.

Tell me!

يقولها كثيرا، وكأن الإنسان يستطيع أن يحكي نفسه، ويصغي، يصغي بالفعل؛ لا تصدق لين تماما أن الأمر مهم بالنسبة له، يعنيه أن يعرف مَن كانت لين.

(بعد شهور، يناير 1975، لا ألتزم بالاتفاق. لم أجرؤ على الاتصال بها: كصوت من الماضي. إلا أنني وقفت في غرفة الاستقبال وأعطيت بياناتي المهنية. Lynn is no longer with us. أصمت. ماتت؟ هكذا تُفهم الجملة. عندما رأت السوداء مدى تأثري لم تقدني إلى الموظفة التي خلفتها في المكتب، وإنما قالت: I liked her very much indeed. أين هي الآن؟ عرفت ذلك من خطاب وصلني فيما بعد في أوربا، خطاب طويل، كتبته بخط منكوش على سطح سفينة: إنها لاتعمل الآن، وتريد عموما مهنة أخرى، وطفلا، تلعب بينج بونج كثيرا، وتقرأ هذه الأيام كتابي الذي أعطيتها آنذاك؛ من الواضح أنها تسافر بمفردها؛ تفكر في مستقبلها.)

الزر الذي تخيطه لين في جاكتِه القذر ليس مناسبا، وإنما هو زر معطفه للمطر. أغمق من اللازم، وأكبر أيضا؛ سيلفت الانتباه. جاكت إنجليزي، اشتراه منذ أحد عشر عاما في شارع المحطة

بزيورخ؛ لم ينس ذلك: هي التي وجدته، لعلها كانت المرة الأولى التي أعطته فيها رأيها أثناء شراء ملابس. لا بد من تغيير البطانة مرة أخرى. جاكت مثل هذا (مانشستر) لم يعثر عليه أبدا، ولا في لندن. جاكت للأبد، نُظف مئات المرات؛ ويلمع من كثرة الارتداء، وهذا هو السبب وراء شعور المرء بأنه في بيته وهو يلبسه. في الكم الأيمن زر أيضا يلفت الأنظار، عمدا: زر صغير، صغير جدا، يكاد يكون أحمر اللون. من خاط هذا الزر؟ خمنت لين: Your wife? لم يكن لينساها حتى دون هذا الزر. كان ذلك يوم الإثنين. الصديقان، اللذان عزمتهما لين على العشاء الأخير، انصرفا عند انتصاف الليل: كانت هي المرة الأولى التي لا يتناول فيها الطعام مع لين بمفردهما. تلك كانت رغبتها، ورغبتها أسعدته؛ إنها لا تخفيه. عندما نهض صديقاها كي ينصرفا، ارتدى هو أيضا الجاكت: من غير زر. فهم الصديقان عندئذ: إنها الفرصة الأخيرة كي تفي لين بوعدها أن تخيط زرا للجاكت. بعد أن قالت: Your wife، يشعر بالرغبة في مدحها صامتا، بينما مازالت لين تخيط في الجاكت، ويكتشف أثناء ذلك: الصفات لا تصلح لمدح إنسان. ستكون النتيجة كلاما عاما عن امرأة جذابة فحسب، الآن في الخامسة والثلاثين، الآن في برلين حيث الساعة الخامسة فجرا، عندها تقول لين: You love her. مع أنه لم ينطق بكلمة، بل وضع الأطباق في الغسالة. ضحكت عندما فرغت: Your dirty jacket!. عندما ارتداه كانت الرابعة فجرا. لا بد أن تنام لين. كانت قد استغرقت في النوم عندما سحب باب الشقة بكل هدوء وراءه وسمع تكة القفل. في الميدان الخالي يستمتع بفكرة أنه سيقول للين إنه سار لمدة ساعة دون أن يعتدي عليه أحد. لم يعد

الظلام سائدا. يتصاعد بخار على شكل دوامات من بالوعات المجاري، من القضبان وسط الأسفلت. بعد عشرة دقائق فقط يجلس في تاكسي أصفر، NO SMOKING ، لذا لا يعلم ماذا يفعل. ليلتهما الأخيرة لم تكن حزينة؛ إلا أن جسده فشل. يحاول أن يثرثر مع سائق التاكسي اليوناني، ثم لا يصغي، إذ فجأة يخطر على باله أنه نسي أن يختبر ما إذا كان الباب، الذي سحبه حتى سمع تكة القفل، مغلقا من الخارج بالفعل، أم أنه يمكن فتحه بضغطة على الأكرة. سطو، قتل، يبدو كل شيء ممكنا. يريد أن يتصل بمجرد وصوله الفندق؛ في رعبه لا يجد فكرة أفضل. يخرج ورقة بعشرين دولارا دون أن ينتظر الباقي. يستغرق الأمر بضعة دقائق حتى يظهر أخيرا موظف الوردية الليلية، نعسانا، لذا لايجد على الفور المفتاح؛ لا بد أن يكرر المرء الرقم ثلاث مرات: 1112 A (في الحقيقة 1113، لكنهم يتجنبون رقم 13). عندما وقف أخيرا في غرفته، لم يتصل؛ لا بد أن تنام لين. يجلس لبرهة، دون أن يخلع الجاكت، ويفكر في الأقفال، بينما في الخارج يغمر ضوء الصباح المكان؛ وتتلقى خزانات المياه على الأسطح أشعة الشمس الأولى. ثم يلاحظ أنه لا يفكر في أي شيء؛ لا في الأمس، ولا في الغد، ولا في اليوم. لم يستغرق في النوم بعد؛ إنه يسدد بصره عبر النافذة المفتوحة، إلى الواجهة أمامه. ليس متعبا، أو هو متعب إلى حد لا يستطيع معه النوم. لا مشاعر؛ عندما يغلق عينيه، يرى وجهها النائم قريبا تماما. لا يشغله فشله الجسدي، عندما يتذكره عرضا. الواجهة أمامه: طوب بني محروق، النوافذ في أطر حديدية، بعضها به ستائر، زرقاء أو حمراء أو صفراء، كل النوافذ مزودة بذلك الصندوق

الخاص بمكيف الهواء. في إحدى النوافذ البارزة يلحظ نباتا ذا أوراق بلا زهور؛ قطة ترقد على الأفريز. يرى المرء أكثر من هذه الواجهة إذا وقف: في الأسفل تقاطع الطرق مصفرا تحت ضوء الكشافات، ثم يلقي المرء نظرة على أسطح المنازل المنخفضة؛ هنا وهناك يتصاعد بخار أو دخان إلى السماء الصباحية، وهو ما يُظهر أن هذه البيوت مسكونة. مازال الناس نياما. ذات مرة يزعق نفير سفينة؛ ثلاث مرات. ثم يرسل النظر إلى الفناء بالأسفل، أراض واطئة بحدائق. ينسى أنه فتح الصنبور لملء البانيو؛ إذ إن الأمر يستغرق طويلا حتى يحصل على خط، حتى يسمع صوتا يقول: operator، وحتى يسمع جرسا في الناحية الأخرى. لا رد. لين ميتة أو نائمة. يتذكر الحمام ويغلق الصنبور، ينزع السدادة، ويخرج إلى الممر كي يدرس الأمر من الناحية التقنية: باب غرفة الفندق إذا أغلق من الخارج - كما أغلق بابها - لا يمكن فتحه من غير مفتاح. يطمئنه ذلك. لحسن الحظ، نسي وأخذ في يده مفتاح الغرفة، وهكذا يستطيع العودة إلى غرفته؛ ثم يرقد بملابسه على السرير بالعرض -

لن تصبح لين اسما للذنب.

ما يمكن وصفه هي مائدة حجرية . . . البيت في برتسونا الذي شاهدناه معا أثناء رحلتنا، والمطر الغزير يهطل: بيت فلاحي، الأسوار شبه منهارة، بعض عروق الخشب أصبحت هشة. كنا آتيين من روما (عن طريق مارجوتا) كنا نسكن في بيت أجرناه من الباطن؛ طوال حياتي وأنا مستأجر أو مستأجر من الباطن. الآن أرغب في امتلاك بيت معكِ. تحت المظلتين تغوص أقدامنا في الأرض

المهملة؛ أدغال من «بنات النار» والعليق، والسرخس؛ كما هو معتاد في هذه الناحية: أسوار جافة من الأحجار الخشنة تسند الشرفات. تسيرين شبه خرساء، وأنا أشير إلى أشجار الجوز الجميلة. أرض شاسعة. بها أيضا أشجار كستناء عديدة. الهواء فاسد داخل البيت؛ هنا وهناك فطر على الجدران. أتولى مهمة طمأنتها بأن كل ذلك من الممكن إعادة بنائه وتوسيعه، وأتولى كذلك المفاوضات المضنية حول ثمن الشراء. منذ الساعة الأولى كان واضحا بالنسبة لي: وحدي، كأعزب، ما كنت أستطيع السكنى في هذا الوادي. أرى الخشبة التي سأتأرجح عليها؛ من السهل صنع الأرجوحة بمدها من شباك صغير. لكنني أحيا معك، منذ ثلاث سنوات؛ لم نتحدث عن الزواج أبدا. ما يعجبني: السقف الثقيل من حجر الجرانيت، ثم الموقع كله فوق المنحدر، البيت وحظيرة حجرية تكاد تشبه برجا. ليس من السهل على مهندس أن يبني شيئا كهذا، العلاقة المكانية بين السورين؛ التصميم غير مدروس، وكامل. جرفني الحماس. رغم المطر. لم أحلم أبدا بامتلاك منزل؛ الآن أرغب. سنسافر بالرغم من ذلك؛ ليس من المفروض أن يتحول إلى سجن، فقط إلى بيت، وإذا كنتِ على استعداد لذلك: بيتنا. لا أتعجل الشراء، ليس فقط لأن الثمن أعلى من المتوقع. قرب عيد الميلاد، عندما كنتِ عند والدتك، أسافر مرة أخرى إلى هناك. يحدث في تلك الأودية ألا يرى المرء خلال الشتاء الشمس مرة واحدة، أو لمدة ساعة فقط. أبقى يوما كاملا هناك؛ يوم شتوي صحو دون جليد. في المقابل القمة العالية، لكن الشمس تتدحرج في التو على هذه القمة، وتدخل الشمس البيت لمدة ست ساعات ونصف. ضربة حظ. بالداخل يبدو

لي كل شيء أكثر خرابا؛ أنا سعيد لعدم وجودك معي. آخر من سكن هنا كان مستأجرا عجوزا، مجنونا. لم تتبق رائحة من الحساء الذي يقولون أنه طبخه من الخنازير الثلاثة. ولكن العفن يفوح من مرتبة متهرئة وكراكيب من كل نوع، على المرء أن يتخيل عدم وجودها. آخذ المقاسات. الغرف صغيرة، الجدران سميكة، ولن يمكن هدم أجزاء كبيرة من الحوائط؛ رغم ذلك يبدو لي ممكنا تحويل المكان إلى مسكن مريح. بالخارج فوق طاولة من الجرانيت، كما هو مألوف في إقليم تِسين، أبدأ في رسم التصميم الأولي. في روما أُريكِ إياها، أشرح لك الإمكانيات المحدودة، وترين أن لدي رغبة. ما أكثر ما بدلت الشقق. هنا مكان لمكتبة تنمو؛ مكتبتنا. هنا غرفة مكتبك بباب يؤدي إلى الحديقة. هنا حجرة للضيوف. أتشاور مع مهندس شاب يسكن في المنطقة ويستطيع الإشراف على عملية إعادة البناء، وأقرر الشراء، في عام 1964. حياتنا في روما: تزداد احتفالاتنا من يوم لآخر، وتكثر تنقلاتنا؛ من يوم لآخر أجمل. VALLE ONSERNONE، لا تقع في نهاية العالم؛ يمكنك مثلا أن تدرسي في زيورخ، إذا كنت تريدين. بين الحين والآخر نذهب للتفرج على أعمال التجديد التي تستمر طويلا. لفترة من الزمان يبدو المكان فوضويا مجنونا: أطلال، الأرضية الهشة قد نُزعت، ليس هناك سوى الجدران الضخمة التي تحمل السقف، في الخارج أكوام من عروق الخشب الهش. لابد من صب طبقة خرسانية حتى يتماسك البيت. يتعثر المرء في أدغال من الألواح الخشبية. تستغرق عملية إعادة البناء، التي أشرف عليها المهندس الشاب برغبة وضمير عاما كاملا. نذهب معه لشراء البلاط، ولوازم المطبخ والحمامات؛

الاختيار لكِ. في تلك الأثناء كنتِ قد عرفت التصميم ومنحتي المهندسين ثقتك؛ المهندس الشاب والمهندس السابق. تلاحظين فرحتي الطفولية بالبناء، فرحتي الذكورية. مازلت لا تستطيعين تخيل بعض الأشياء، الدرج على سبيل المثال؛ ترين فقط الهوة الكبيرة وتقفين خائفة أمام السقالات، وأمد لك يدي. أشياء عديدة يمكن اختيارها الآن من خلال النماذج. كل ما هو تقني لا يثير اهتمامك: سعة خزان الزيت، ماركة المدفأة أو السخان . . . إلخ، في مثل هذه الأشياء تثقين بالآخرين، وتبتهجين بضوء الخريف الأزرق في المكان. يريد المهندس تركيب ألواح من الحجر الجيري كأطار للمدفأة، لكنك تعارضينه، وأنا أيضا؛ لا نريد فيلا. نحن بحاجة أيضا إلى مصابيح، وهو أمر دائما صعب. في السابق كان بعض أصحاب المنازل يطلبون مشورتي؛ مَن يدفع يحدد الذوق. الآن نحن نحدد، أنتِ وأنا. بعض الأشياء لا تقنعك على الإطلاق بعد أن يتم تنفيذها، أرضية غرفة الجلوس مثلا؛ النموذج الصغير كان خادعا. لكنك تفهمين أنني لست أوناسيس، وهكذا نتركها كما هي؛ ليست مهمة إلى هذا القدر أيضا. أما الأرضية الجديدة في الشرفة الصغيرة فإنها تخلب لبك، طوب محروق عليه شكل عظام سمك، مثل الأديرة الإيطالية؛ أيضا بدأ الطوب الزيورخي الأحمر في غرفة السفرة ينال إعجابك بعد أن كُسي بمادة شمعية حافظة، ثم أخذ مع مرور الوقت - وكما وعدتك - يغمق لونه. خبرات صغيرة جديدة بالنسبة لك. تفرحين. البيت إنجازك أنتِ أيضا. نتفق في الرأي: كل الجدران بيضاء. كما في سبيرلونجا. قبل أن نغادر روما تصلنا دعوة إلى القدس، عام 1965، يعجبك ذلك أيضا، وعندما غادرنا روما لم

يكن في حوزتنا الكثير لننقله: بعض الأوعية، ثلاثة مصابيح رومانية، مائدة على الطراز التوسكاني بخمسة مقاعد، الكتب (فقط التي تراكمت في روما؛ الكتب الأخرى سترسل إلينا من المخزن) وبعض الاسطوانات (لجهاز اسطوانات أفضل) ومكتبك الصغير (قطعة أثرية رديئة، أعرف) وكرسي هزاز، مقالٍ، صندوق (MILLE SETTE CENTO)، وقليل من الملابس، فرش السرير الروماني، والآلة الكاتبة التي أملكها. لسنا متاعا منزليا، وإنما محبان. عندما انتقلنا إلى البيت كان العمال مازالوا هناك، وكذا ماكينة لخلط الخرسانة. لم يتم الانتهاء بعد من الدرج الصاعد إلى شارع القرية؛ نسير على ألواح زلقة. في الحظيرة انتُزعت للتو الأرضية التي تفصل بين الخنازير والماعز، أما ستديو العمل الخاص بي فمازال تحت الإنشاء. العمال الإيطاليون الخمسة يعبرون يوميا الحدود ويعودون في المساء إلى نوفارا. مازال لديهم عمل يستغرق أسابيع. نشعر سرا بالسعادة لوجودهم معنا. رئيسهم العجوز، كما تعتقدين، يشبه صامويل بيكيت القروي. يحضرون طعامهم في حقيبة ظهر، يجلسون في الظهيرة على المائدة الحجرية أو على النجيلة؛ وأنت تسخنين لهم الشوربة التي أتوا بها في وعاء من الصفيح، أو تعدين شوربة لنا جميعا. يعجبني هذا. وأتكفل بالبيرة والنبيذ. لا يتضمن تصميم إعادة البناء كل خطوة؛ مثلا كيف سيبدو سور بعد بنائه، أو الأرضية المصنوعة من ألواح الجرانيت، يتوقف ذلك على ذوقهم. ندين لهم بالكثير. لا يبدو لي ضروريا وضع مدفأة في مكان عملي؛ صحيح أنها موجودة ولا تحتاج إلا إلى تصليح؛ لكنني أقول: دعنا من ذلك. بيكيت يعترض: un scritore، يقول، لابد أن يحرق ورقا

كثيرا. أوافق على رأيه. bella ciao, bella ciao، تتصاعد نغمات الأسطوانة، التي أحضرناها معنا من روما، من الشباك المفتوح أثناء عملهم. عندما تمطر يواصلون عملهم في القبو. مازال عامل الطلاء في البيت أيضا؛ إنه يختفي أحيانا لمدة ساعتين، ويذهب إلى الغدير كي يصطاد سمكا. حائط الكتب، الذي تم تنفيذه وفق تصميمي، يعجبك في النهاية. ترصين الكتب في المكتبة؛ افتح الصناديق المسمرة. كثيرا ما يتعثر العمل، إذ إنك تجلسين كي تقرأي؛ ذلك يُشرِّف الكتب. تزرعين حوض أعشاب. ونزرع أيضا ثلاث شجيرات كروم، تغطي أوراقهم بعد تسع سنوات التعريشة فوق المائدة الحجرية ... لم أحكي هذا؟ ولمن أحكي هذا؟ - مرة يهبطون بصندوقين ثقيلين من شارع القرية؛ في البداية خمنا أنه فرن ساونا فنلندي. الآخر مملوء عن آخره بالأحجار لهذا الفرن: جرانيت، ما أكثره هنا. أجهز أيضا قبوا للنبيذ. عندما أجلس أمام الآلة الكاتبة فإن العمال الذين يأخذون في الدق لا يزعجونني، على العكس: نحن نعمل. وفي يوم من الأيام يجمعون عدتهم كلها؛ تطبخين «ريزوتو» مع لحم محمر. كانت، هكذا يقولون، سنة جميلة هنا. AUGURI. مئات الضيوف يأتون، أصدقاؤك، أصدقائي. أنت المضيفة، وفي رأيي فإنك تحسنين القيام بهذا الدور، لأنك تفعلين هذا بتلقائية، وبلا تكلف (هكذا يبدو) تضفين جوا احتفاليا. هناك عواصف تدخل الرهبة على النفس، وتستمر ثلاثين ساعة. أو جرف للثلج في الشتاء. أقطع حطبا وأشعل المدفأة، ولكنني أفعل أشياء أخرى في تلك الأعوام. أنتِ تقومين بأشياء أخرى. في الفجر أحاول باستخدام المنجل أو الفأس أن أفتح ثغرة في الأدغال ينفذ

منها الضوء، بعد ذلك بمنشار كهربائي مستعار. سنبقى أهل مدن. سكان القرية لا ينادونك بـ: Signora ، لأننا لسنا متزوجين؛ يقولون: Marianne ، وإذا كنتِ غير موجودة: La Marianne ، لكنهم أبدا لا يقولون: La signorina . ذات مرة رغبتِ في رؤية خراف في حديقة منزلنا أيضا، وليس فقط القطط الكثيرة التي وجدت طريقها إلينا. أكلف العمال بإقامة سياج، وأشتري أربعة خراف، بينهم أسود. إذا رآهم أحد في الحديقة لاحظ أنهم يقفون دائما في الاتجاه نفسه، الأربعة معا، يفعلون أو لا يفعلون نفس الأشياء. يمزق كلب متوحش ثلاثة منهم؛ عندئذ نهدي الرابع. شيئا فشيئا تتشابه الأصياف في الريف . . . ما يمكن وصفه هو هذه الوجبة أو تلك التي اخترعتيها / كيف تكسبين شبانا وشيوخا مما يجعلهم يترددون على بيتنا بسرور / عندما نسبح في مياه الغدير الباردة، وعندما أنزع السدادة عن الزجاجة التي بردناها في الغدير: حضورك الفرِح / أكوام الكتب (معظمها كتب ألمانية، أيضا إنجليزية وفرنسية وإيطالية) على الأرض بجانب سريرك / هداياك لكثيرين / توترك الطفولي قبل أعياد الميلاد / كيف تجلسين كامرأة على الدراجة وتتصرفين مع ذلك بتلقائية الفتيات / مكتبك، هذه الفوضى من القواميس الثقيلة، والأوراق المكتوبة، والأوراق البيضاء، ومجلات الحداثة الأدبية، وطوابع بريد، ومجلات موضة لا تلبسين وفقها، ورسائل رددتِ عليها / اهتمامك بعملي وكأنك أم / قبعتك الجلدية من تكساس التي حال لونها من المطر، عندما أتعرف عليها في المحطة وسط الزحام؛ والأماكن التي كانت ستختلف بدونك: براغ، وارسو، أفنيون، باريس، لنينجراد، أوديسا، فنيسيا، لندن، القدس،

مانهاتن . . . إلخ، والمائدة الحجرية الصغيرة في تيسين -

هذا كتاب صادق، أيها القارئ

عن ماذا يصمت ولماذا؟

FIFTH AVENUE

سيدة ترتدي فستانا طويلا أبيض وقبعة بيضاء، الموضة التي سادت أوائل القرن الماضي؛ مخبولة: يداها تتحسسان السطح الحجري أو المعدني للواجهات، وكأنها تريد أن تتأكد أن كل شيء في مكانه. أيادٍ كقرون استشعار. لايمكن أن تكون عمياء فهي تنتظر عند الإشارة الحمراء. معظم المارة لا يلاحظونها على الإطلاق؛ تمشي أبطأ من الآخرين، ولكنها لا تقف في طريق أحد؛ تسير بحذاء الواجهات. حيثما يكون زجاج - هكذا يبدو - فإنها تتحسس برفق سطحه العاكس؛ ترتسم على وجهها علامات السعادة. أتعمد أن أسبقها كي أستدير تحت أي ذريعة وأرى وجهها. إنها سعيدة. يحدث أن تظل فجأة واقفة وكأنها أصبحت الآن في الخواء، ثم ترجع بضع خطوات. لا تكاد أصابعها تلمس سطح الواجهة، أحيانا لا تقترب منه إطلاقا؛ تبدو وكأنها تدشنه فقط، حتى يظل هناك - ذلك السطح القبيح. أترى الناس؟ ثوبها غريب، قصدته أن يكون فستانا احتفاليا. على فكرة، تسير حافية، وهو ما لم ألحظه إلا بعد فترة. بين الحين والآخر تتفوه بكلمات. يصاحب ذلك إيماءات تنم عن أحاسيس رقيقة عظيمة ومستترة. يبدو أنها تعيش يوما خاصا، يوما تتحقق فيه الأماني، تعيش حاضرا.

هيلين وولف، الناشرة، راضية عموما عن الصحافة. الزهور، الآن في زهرية فوق مكتبها، تُسعد السيدة المبجلة. تحيات إلى أوربا، تحيات إلى أصدقائنا في برلين، أوفه، جونتر . . . أودِّع الأماكن الأخرى دون كلمة:

WASHINGTON SQUARE:

لاعبي الشطرنج العواجيز على الطاولات الحجرية تحت الأشجار الخضراء التي تشي الآن بمقدم الصيف.

SHERIDAN SQUARE:

التمثال النحاسي الذي اخضّر لونه لرجل كان اسمه شريدان، يحمل على قبعته حمامتين تهدلان.

BIGOLOW:

أولائك الذين بسرعة يجهزون الفطار.

8TH STREET:

بائع التبغ الذي بات يعرف ما أدخن، وفي كل مرة يكون الجو بديعا يشير إلى ذلك بود.

CHINESE LAUNDRY:

الصيني النحيف كالعصا الذي غسل قميص البينج بونج المبتل بالعرق ثم كواه.

BALDUCCI:

تلك الفاكهة الجميلة المرصوصة.

TRATTORIA DA ALFREDO

صديقها الذي يتعجب أنني أتناول طعامي لأول مرة في هذه الكافتيريا الإيطالية الصغيرة. آنذاك طُلب مني ألا أذهب إلى هذه الكافتيريا والتزمت بذلك. الصراحة بيننا، الآن ممكنة، تبقى في الحد اللائق. لدينا موضوعات أخرى. هذا صحيح: الطعام في هذا المطعم الإيطالي طيب وليس غاليا، الأثاث إيطالي دون بهرجة، الزبائن من الإنتليجيسيا، وألفريدو - الأب الروحي للمكان - يقدر تماما الشخص الذي يتحدث معه بالإيطالية. لأن المطعم ليس به عرق نذهب بعد ذلك إلى شقته: ليست بعيدة عن هنا. سبع دقائق سيرا على الأقدام. هو الآن مُطلَّق، الشقة دون تغيير، طُليت جدرانها حديثا، ملصق الفنان إنجريس في مكانه. حين عادت رفيقته الجديدة إلى المنزل نظر إلى ساعته: أين كانت كل هذا الوقت؟ إنها (هكذا يقولون) رائعة؛ تقابلني بفضول فائق، وإن لم تتحرر تماما من الشعور بالحرج، إلا أن ذهنها حاضر ونظراتها صريحة، وكأنها شرطي يقارن الواقف أمامه بأوصاف مجرم يجري البحث عنه. هي شقراء، الشعر صففته إلى أعلى. لا أبقى طويلا؛ مازال علي أن أشتري هدية، قبعة من قبعات الكاوبوي: a brown campaign hat. أين أجد شيئا كهذا؟ يتصرفون وكأنهم يمزحون. الساعة الثالثة، خرجَت في الحادية عشرة من البيت. أحكي عن أي شيء. عن برلين الغربية وبرلين الشرقية، أعتقد. يريد فعلا أن يعرف أين كانت منذ الحادية عشرة. تضحك وتشير إلى ما اشترته؛ أشياء قليلة. أربع

ساعات من أجل هذا؟ يهمها أمر برلين الغربية وبرلين الشرقية. تعرف باريس جيدا جدا. تعمل قهوة ببشاشة. مازال يهزل معها. عندما يتصل بها في المكتب تكون في الشارع تتسوق أو في المكتبة حيث لا يستطيع الاتصال بها؛ وإذا لم يتصل في المكتب تكون طيلة الوقت في المكتب. تضحك؛ هو لا.

SWISS BANK CORPORATION:

من حسابي.

HOTEL LOBBY:

من مارك وإنجر اللذين أرجعت لهما الأطباق وأدوات المائدة التي استعرتها، مع شكري وقبلات على الخدّين، الأيسر والأيمن.

SENATOR LOUNGE:

من توني تسفيكر، السويسرية البشوشة، التي أوصلتني مرة بسيارتها إلى المطار، مع قبلات على الخد الأيسر ووالخد الأيمن.

آن الأوان، ليس فقط لأن أفكر في الموت، وإنما أيضا لأن أتحدث عنه. ليس بطريقة احتفالية، ولا هزلية. ليس عن الموت عموما، وإنما عن موتي أنا. مازلت، قياسا إلى عمري، في صحة جيدة نسبيا. لا يجد الطبيب شيئا. الإرهاق بعد الإفراط في تناول الكحوليات، صداع عند هبوب الرياح الدافئة من جبال الألب . . . إلخ، ليست هذه أمراضا. رغم أسلوب حياتي غير الحذر لا أعاني من تليف في الكبد. بين الحين والآخر أوجاع في القلب. منذ عشرين عاما. لا ألم. حينما أكون مرغما على وصفه للطبيب أقول:

شعور بالضيق، بالضعف، بالاحتياج إلى التنفس الذي يصعُب علي عندئذ. أقول للطبيب: كأن يدا تمتد إلى القلب، مخالب بلا أظافر؛ إذ إنني أكاد لا أشعر بوخز. بعد ساعتين، أو ربما ربع ساعة، يكون الأمر قد انقضى، غالبا لا يلاحظ أحد شيئا. إذا كنت وحيدا فإن الأمر يقترن بالخوف؛ ليس خوفا حقيقيا من الموت. الرقود سيء للغاية؛ أما إذا جلست فالخوف من أن أقوم من المقعد؛ لا أستطيع عندئذ تخيل فعل أي شيء، عبور الشارع مثلا. نتيجة الفحوص من وقت لآخر لا تتغير: حالة القلب مثالية. أدوية؟ نصيحة الطبيب: احتس كأسا من الكونياك. الكلى على ما يرام، الرئة على ما يرام. من الأفضل التقليل من التدخين. الاشتباه في السرطان، الذي يصاحب كثيرين في كل مرة يسعلون أو يشعرون بألم في المعدة، لا يصاحبني. نادرا ما مرضت. أحلم كثيرا بالموت. حتى لو لم يكن في الحلم أي تحذير فإنني أستيقظ مرعوبا: عمري الآن 61، 62، 63. مثلما يحدث للمرء الذي يلقي نظرة على الساعة ويرى: ياه، لقد تأخر الوقت! كئيب هو الخوف من الموت، أما الوعي بالموت فشيء آخر؛ وعي يقترن بالفرح. مثل كل الناس أخشى الموت المؤلم. عندما أحاول قبل السفر ترتيب أشيائي، فإنني أفعل ذلك بلا انفعال. أصبحت الآن أكبر سنا من والدي وأعرف أنني سأصل قريبا إلى متوسط العمر هنا. لا أريد أن يتقدم بي العمر كثيرا. في الأغلب يحيط بي شباب؛ أرى الفارق في كل شيء، أيضا في الأشياء التي قد لا يرون فيها فارقا، بعض الأشياء يمكن فهمها. أتحدث عندئذ عن مشاريعي المهنية. أعرف كذلك أنه ليس من اللائق أن أقيد امرأة شابة بي، أنا الذي لا مستقبل له.

نُشرت المقابلة الصحفية في تلك الجريدة البائسة. بعض الأشياء صحيحة: الجنس، عدد الأطفال، ارتداء نظارة، القامة قصيرة، الهواية: بينج بونج.

في المساء من الطائرة، بعد أن يُسمح للركاب بحل الأحزمة، فإنه سيكون على الجانب الأيسر لسان يختلط الأخضر فيه بالرمادي والبني، ومنار، اللاعمق الأصفر يظهر فقط عند انسحاب الموج من اليابسة؛ البحر، المفتوح، يُرى أيضا على الجانب الأيمن: كاللباد الباهت، ثم كالأردواز الصلب (الكوارتز) . . . في اليوم الأخير رأيت لين لأول مرة في مكتبها، وقبل ذلك في الممر حيث توجب علي الانتظار. أتت مبتهجة. مكتبها صغير، المنظر من النافذة يبهر الأنفاس. كان علينا الانتظار قليلا حتى انتصف النهار؛ لين على الدكة بجوار الشباك: لا تشبه الآن الحورية إلا من بعيد، حركاتها أمريكية جدا (ما معنى ذلك؟)، حركات موظفة. بقي الباب المؤدي إلى غرفتها مفتوحا؛ عندما أطلت زميلة برأسها قدمتني لين. ثم طلبت مني أن أوقع على كتاب؛ بعدها استطعنا الذهاب، Lunchtime ، المصعد مكتظ تماما، تحدث شخص مع لين التي بدت أقل سمرة مني؛ من الواضح أن ردها كان مضحكا، لم أفهم إلا القليل. اجتزت وحدي الباب الدوار وانتظرت بالخارج. عندما لم تجئ لين نفذت ما اتفقنا عليه إذا فقد أحدنا الآخر: سرت بمفردي إلى المطعم وانتظرت على البار. يبدو أنها بحاجة إلى مناورة كي تتخلص من ذلك الشخص؛ جاءت لين بعد 20 دقيقة. مطعم فرنسي، الموائد الصغيرة لشخصين متراصة بعضها بجانب البعض الآخر؛ ليس مكانا يصلح لحديث حميمي، وكان ذلك

بالأحرى مدعاة لسرورنا. بعد أن طلبنا الطعام ناولتني هدية؛ افتحها. كيس تبغ من نفس النوع الذي أدخنه، والذي تحسسته لين ذات مرة، ثم ضاع مني خلال نهاية الأسبوع في مكان ما؛ وعليه الحرف الأول من اسمي. Very nice، قلت، but unfair، لأن لين منعتني من إهدائها شيئا، باستثناء آلتي الكاتبة (أوليفتي ليترا 32) التي قد تحتاج إليها. Today I have got my period، قالت. مازال علي أن أحزم حقائبي، ليست أشياء كثيرة؛ أي مازال عندي وقت طويل. وقت لين محدود، بالضبط ساعة. اقترحت أن نتمشى في الحديقة العامة القريبة، UNITED NATIONS. كنا نهرول تقريبا. I am going to miss you، قالتها وهي ترفع حاجبيها كشخص مرغم على الاعتراف بخطأ، وتحت إشارة مرور حيث قالت في النَفَس ذاته تقريبا: come on, come on. بالمناسبة، كنت في هذا المتنزه لأول مرة. الضوء ساطع في الظهيرة، لا يكاد يحتمل دون نظارة شمس. المياه تبرق. المتنزه مزدحم بناس يتصرفون كأنهم يستمتعون بالشمس الصيفية. لكن سطوعها كان باهرا لدرجة أن المرء لم يكن يستطيع أن يفكر في شيء أو أن يشعر بشيء. لم تكن المياه زرقاء، وإنما سوداء؛ يتلألأ سطحها كالزئبق. استندنا على الدرابزين. حتى النوارس كانت تبهر العين. لم نشرب إلا قليلا، لم يكن هذا هو السبب. في الجبال العالية يحدث الشيء نفسه: الجليد الأبيض، أما الصخرة فتكاد تكون سوداء، وعندما يرفع المرء ناظريه: منتصف الليل بلا نجوم. لم يكن الجو حارا: ريح حادة قارصة آتية من الماء. القوراب السوداء يسبح أمامها الزبد اللامع. في الناحية الأخرى الدخان الأبيض المتصاعد من مدخنة عالية. الضوء يذكره

بالرياح الدافئة التي تهب من جبال الألب؛ لا يتلألأ الضوء على سطح الماء فحسب، بل أيضا على أوراق الشجر. عندما يتجه الناس إلى الظل فإنهم يختفون. الواجهات الزجاجية تعكس الظلال المظلمة للواجهات المقابلة لها؛ أشكال البنايات المنعكسة مشوه بعض الشيء. لم نصمت، لكني لا أعرف فيما تحدثنا. السطح القصديري للدرابزين، الذي استندنا عليه بكوعينا، كان يلمع كأنه جمرة. في السماء كانت طائرة تضوي. ثم نظرت لين إلى ساعتها؛ مازال لدينا وقت، لكنه وقت لا يمكن عمل شيء فيه. جلسنا على طريق حجري صاعد يصعد عليه المحبون؛ فوقنا آلاف من إطارات النوافذ المعدنية المتوهجة. حيثما نظر المرء: هذا الضوء، اللمعان أو التوهج. أسعدها أن كيس التبغ أسعدني؛ مناسب تماما، ملمس الجلد الداكن ناعم ورقيق. لانتبادل الأسف بسبب وجوب طيراني اليوم. فقط أرسلنا البصر: النوارس والقوارب السوداء مع الزبد الذي تدفعه أمامها. نظرت لين إلى ساعتها، فسحبتُ اليد من على كتفها. وقفنا حتى يقبل أحدنا الآخر. ليس في استطاعة المرء السير أخف مما نفعل الآن ونحن نهبط السلالم التي غمرها الضوء الساطع. لم يتبق أمامنا الآن سوى العثور على مكان يصلح للافتراق والانتباه لحركة المرور؛ امسك كل منا بيد الآخر عندما عبرنا الميدان، وتمشينا، دون قبلة، ثم قلناها مرة أخرى بيد تلوح: «هاي» . بعد خطوات رجعت إلى الناصية وتأملت هيئتها السائرة؛ لم تستدر، ظلت واقفة. احتاجت إلى وقت طويل حتى استطاعت عبور الشارع.